

الفصل الأول

الدراسة عن المؤلف

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : أبو الخطاب الكلوزاني ، اسمه ونسبه .

المبحث الثاني : تاريخ ومكان ولادته .

المبحث الثالث : أسرته .

المبحث الرابع : نشأته وطلبه العلم .

المبحث الخامس : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .

المبحث السادس : عقيدته .

المبحث السابع : أدبه وشعره .

المبحث الثامن : شيوخه .

المبحث التاسع : تلاميذه .

المبحث العاشر : آثاره العلمية .

المبحث الحادي عشر : وفاته رحمه الله .

obeikandi.com

أبو الخطاب الكلّوذاني (٤٣٢ - ٥١٠ هـ) (*).

١. اسمه ونسبه:

هو الإمام العلامة الفقيه محفوظ^(١) بن أحمد بن الحسن^(٢) بن أحمد الكلّوذاني^(٣) البغدادي الأزجي^(٤) الحنبلي، ويلقب بناصح الإسلام، ونجم الهدى^(٥).

(* انظر: ترجمته في:

- الأنساب للسمعاني (١٠/٤٦٠-٤٦١) والمنتظم لابن الجوزي (٩/١٩٠-١٩٣).
ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ٦٣٥) وخريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الأصفهاني الكاتب (٣/٣٨-٤٧) ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٤/٤٧٧-٤٧٨) واللباب لابن الأثير (٣/١٠٧-١٠٨).
والمطلع على أبواب المقنع لمحمد بن أبي الفتح البعلي (٤٥٣-٤٥٤) وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/٣٤٨-٣٥٠) والعبر للذهبي (٢/٣٩٥-٣٩٦).
والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد للدمياطي (٢٢٦-٢٢٨).
والبداية والنهاية لابن كثير (١٢/١٨٠) وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/١١٦-١٢٧) ومختصر طبقات الحنابلة للناقلي (ص ٤٠٩-٤١٢).
وشذرات الذهب لابن العماد (٤/٢٧-٢٨) وتاج العروس للزبيدي (٢/٥٧٦).
وهدية العارفين للبغدادي (٢/٦) والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران (ص ٤١٩).
والفتح المبين في طبقات الأصوليين للمراغي (٢/١١) والأعلام للزركلي (٦/١٧٨) ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٨/١٨٨).
(١) كذا جاء اسمه الأول في جميع مصادر ترجمته السابقة إلا العبر للذهبي فقد جاء فيه باسم «محمود» (٢/٣٩٥).
ونبه محققه على أنه ورد في نسختين من العبر باسم «محمود» وهذا هو الصواب وكان ينبغي له اعتماده لموافقته سائر مصادر ترجمته ومنها كتب الذهبي الأخرى.
وقد وقع كذلك باسم «محمود» في غير موضع ترجمته في الذيل لابن النجار (١/١٦٧) والمختصر المحتاج إليه من تاريخ الديبشي للذهبي (ص ٢٨٤) وهو تصحيف لا شك فيه.
(٢) كذا في جميع مصادر ترجمته السابقة ووقع في المستفاد من ذيل تاريخ بغداد بتحقيق محمد مولود خلف وإشراف الدكتور بشار عواد معروف «الحسين» بزيادة الياء قبل النون (ص ٣٨٨) =

- = وهو خطأً بدليل النسخة الأخرى من المستفاد الملحق بتاريخ بغداد بتحقيق الدكتور قيصر أبو فرح (ص ٢٢٦) وهي الموافقة سائر مصادره.
- (٣) نسبة إلى «كَلُوْاذان» بفتح الكاف وسكون اللام وفتح الواو والذال المعجمة بين ألفين وآخره نون كذا في الأنساب للسمعاني (١٠/٤٦٠).
- وفي بعض نسخ الأنساب إلى «كَلُوْاذَى» آخره ألف مقصورة بعد المعجمة.
- وهذا ما جرى عليه ابن الأثير في اللباب (٣/١٠٧) والحموي في معجم البلدان (٤/٤٧٧) والزبيدي في تاج العروس (٢/٥٧٦).
- وقدم كما في القاموس وتاج العروس (٢/٥٧٦).
- وهي: قرية جنوب بغداد على الجانب الشرقي لنهر دجلة أدركها الخراب في أواخر العصر العباسي، ذكر ذلك محمد بهجة الأثري في حواشيه على خريدة القصر وقال: ولا تعرف لعهدنا، ويقدر بعض الباحثين أن موضعها حيث منطقة «كرارة» بكاف فارسية مفتوحة وراء مخففة (٣/٣٨).
- وانظر معجم البلدان لياقون (٤/٤٧٧).
- والنسبة إليها: «الكَلُوْاذاني، والكَلُوْاذاني، والكَلُوْاذي، والكَلُوْاذي».
- الأولى: بفتح الكاف وإسكان اللام وفتح الواو بعدها ألف فذال معجمة فألف ثم نون بعدها (ياء) النسب وهذه هي النسبة المقدمة في كتب الأنساب ومعاجم اللغة وهي تتفق مع التسمية الأولى بدون حذف.
- والثانية: مثلها لكن بإسقاط الألف بعد الواو. وهي المشهورة في كتب التراجم.
- والثالثة: بإسقاط الألف والنون على التوالي بعد الذال المعجمة.
- والرابعة: بإسقاط الألفين والنون.
- والاسم بناءً أعجمي، واختلاف النسبة إليه لاختلاف مسأه أو للحذف تخفيفاً.
- وقيل: اسم تلك القرية «كَلُوْاذ» أي بكسر وآخره ذال معجمة ذكره الحموي عن الحاتمي في ردّه على الشاعر المتنبي (٤/٤٧٨ - معجم البلدان).
- (٤) نسبه إلى باب «الأَرْج» بفتح الهمزة والزاي آخره جيم مخففة.
- قال ابن الأثير في اللباب: الأرجي: بفتح الألف والزاي وفي آخرها الجيم، هذه النسبة إلى باب «الأَرْج» وهي محلة كبيرة ببغداد، كان منها جماعة كبيرة من العلماء والزهاد وكلهم إلا ما شاء الله على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى (١/٤٥ - ٤٦).
- وانظر: معجم البلدان للحموي (١/١٦٨) والقاموس وتاج العروس (٢/٤).
- (٥) انظر: المنهج الأهد (٢/٢٣٣) وهما مثبتان على جميع أجزاء نسخة الانتصار التي بين أيدينا. واقتصر البعلي في المطلع على لقب «نجم الهدى» (ص ٤٥٣).

٢- تاريخ ومكان ولادته:

ولد أبو الخطاب - رحمه الله - في ثاني شوال سنة (٤٣٢ هـ) اثنتين وثلاثين وأربعمائة^(١) للهجرة .

ولم أجد لمكان ولادته تحديداً سوى ما ذكره الزركلي أن «مولده ووفاته ببغداد»^(٢) .

واستظهر محقق القسم الأول من التمهيد^(٣) على أنه ولد في قرية «كَلَوَاذَى» استثناساً بقول الذهبي في ترجمته «... الكَلَوَاذَانِي ثم البغدادي الأَزْجِي...»^(٤) .

وقول ابن العماد «... الكَلَوَاذِي... ثم الأَزْجِي...»^(٥) .

فاستعمال كلمة «ثم» يشعر بأنه كان كَلَوَاذِيًّا قبل أن يكون بغدادياً .

وهذا استنتاج وجيه لكنه غير لازم، بل لو ثبت أنه ولد بـ «كَلَوَاذَى» لم يكن هناك كبير خلاف بين هذا القول وقول من قال ولد ببغداد، وذلك لقرب كَلَوَاذَى من بغداد ولعلها أصبحت فيما بعد جزءاً منها^(٦) والله أعلم .

(١) لم أجد خلافاً في تحديد سنة وشهر ويوم ولادته، لكن أكثر مصادر ترجمته اقتصر على سنة الولادة وزاد كثير منها ذكر شهرها، وزاد بعضهم تحديد يومها أيضاً .

ومن نص على أنه ولد في ثان شوال من تلك السنة :

البعلي في المطلع (ص ٤٥٤) وابن السديطي في المستفاد (ص ٢٢٧) وابن رجب في الذيل (١١٦/١) والعلمي في المنهج الأحمد (٢/٢٣٣) .

وراجع مصادر ترجمته السابقة (ص ١) .

(٢) الأعلام (١٧٨/٦) وتابعه الدكتور شعبان في كتابه أصول الفقه تاريخه ورجاله (ص ١٩٥) .

(٣) مقدمة الدكتور مفيد محمد أبو عمشة للتمهيد للمصنف (١/٤٠)، وتابعه الزميل الدكتور سليمان العمير في مقدمته للطهارة من كتاب الانتصار (ص ١٣) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٩٠/٣٤٨) .

(٥) شذرات الذهب (٤/٢٧) .

(٦) قال الحموي «... بينها وبين بغداد فرسخ واحد للمنحدر...» (٤/٤٧٧ - معجم البلدان) .

وقيل : فرسخان، وقيل ثلاثة . (انظر حواشي الأثري على خريدة القصر (٣/٣٨) .

٣- أسرته:

يبدو أن أسرة أبي الخطاب - رحمه الله - لم تشتهر شهرة تعنى بها كتب التراجم، إذ كل ما وجد بعد البحث ذكر ثلاثة من نسله وهم:
الأول: ابنه «محمد، أبو جعفر» قرأ وتفقه، وبرع في الفقه، وصنف كتابًا سَمَّاهُ «الفريد».

كان مولده سنة ٥٠٠هـ ووفاته في السابع عشر وقيل الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٣٣هـ^(١).

الثاني: ابنه «أحمد، أبو الفرج» كان أحد المعدلين ببغداد، سمع من أبيه.
قيل: إنَّه هو المتوفى سنة ٥٣٣هـ وأنه في يوم الإثنين الثامن عشر من جمادى الآخرة.

لكن الذي روى تاريخ وفاة «محمد» هو محفوظ بن أحمد، فإن صح النقل عنه فهو المعتمد، لأنه أدرى بوفاة أبيه وعمِّه، مع أن احتمال تقارب وفاتيهما بل وحتى وقوعهما في يوم واحد أمر وارد^(٢). والله أعلم.

الثالث: حفيده «محفوظ بن أحمد بن محفوظ، أبو الفتح».
قال المنذري: سمع من أبي القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين وحدث.

(١) انظر ترجمته في: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/١٩١ - ١٩٢) والمنهج الأحمد (٢/٢٨٥ - ٢٨٦).

وشذرات الذهب (٤/١٠٣) وإيضاح المكنون ذيل كشف الظنون (٢/٣١٩) وهديّة العارفين (٢/٨٨) ومعجم المؤلفين (١١/١٨٥).

(٢) انظر: ترجمة أخيه المتقدمة في الذيل والمنهج. وذكره المنذري في التكملة (١/٧٥) في ترجمة ابنه محفوظ الآتي.

وقال الذهبي: لم يكن عنده شيء من العلم، بل سمع شيئاً من ابن الحصين، سمع منه عمر القرشي. وقد توفي سنة ٥٨٣هـ^(١).

٤. نشأته وطلبه العلم:

إن تاريخ بداية طلبه العلم - رحمه الله - غير معروف على وجه التحديد، ولكن بتتبع شيوخه نستطيع أن نجزم أنه طلب العلم قبل العشرين من عمره، فقد قرأ الفرائض على شيخه الوئي الحنفي^(٢) المتوفى سنة ٤٥٠هـ أو في التي بعدها، وسمع الحديث من أبي طالب العُشاري^(٣) المتوفى في جمادى الآخرة سنة ٤٥١هـ، وقرأ كتاب الجليس والأليس في الأدب على شيخه أبي على الجازري^(٤) المتوفى في ربيع الأول سنة ٤٥٢هـ، ومعلوم أن مولد أبي الخطاب سنة ٤٣٢هـ.

وهؤلاء الشيوخ الثلاثة يمثلون أنواع ثقافة أبي الخطاب التي اشتهر بها أو كانت له فيها مشاركة وهي الفقه والحديث والأدب مما يدل على أنه طلب العلم في زمن مبكر قبل وفياتهم.

بل يظهر أنه تبوأ مكانة العلماء قبل السادسة والعشرين من عمره تاريخ وفاة شيخه القاضي أبي يعلى سنة ٤٥٨هـ^(٥) إذ إنه برع في الفقه على يديه وكان له من التأثير في حياته العلمية ما ليس لسواه من شيوخه.

(١) انظر: ترجمته في التكملة للمندري (٧٥/١) والمختصر المحتاج إليه للذهبي (ص ٣٥٧).
وورد له ذكر في الذيل لابن رجب في ترجمة عمّه «محمد» المتقدم حيث نقل عنه تاريخ وفاته (١٩٢/١).

(٢) انظر ترجمته: (ص ٤٨).

(٣) انظر ترجمته: (ص ٤٩).

(٤) انظر ترجمته: (ص ٤٩).

(٥) انظر ترجمته: (ص ٥٠).

هذا ولم تذكر كتب التراجم لأبي الخطاب رحلة إلى طلب العلم خارج بغداد، وسبب ذلك ظاهر إذ إن بغداد في زمانه كانت عاصمة الخلفاء والعلماء، قد استوطنها العلماء ووفدوا إليها، ونهل منها طلاب العلم ورحلوا إليها، فهي منهل العلوم على اختلاف أنواعها ومجمع العلماء على اختلاف مذاهبهم وفيها نشأ أبو الخطاب واستقر، وتلقى علومه على يدي علمائها من الحنابلة وغيرهم.

٥ - مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

أبو الخطاب من أئمة فقهاء الحنابلة، طلب الحديث وكان له فيه نصيب، وبرع في الفقه وأصوله وصنف فيهما، وشارك في بيان معتقد السلف، وكانت له يد أدبية وشعرية وكان ذا خلق وعلم ودين، وأثنى عليه العلماء في ذلك كله.

ولنبداً بذكر الفن الذي تميَّز بنصرته علماء مذهبه وهو الحديث، ثم بالفن الذي برع فيه وهو الفقه وأصوله. وسنفرد لكل من عقيدته^(١) وشعره وأدبه^(٢) مبحثاً خاصاً بهما.

أ - فأما الحديث: فقد سمعه وأسمعه وأجازه. قال الحافظ ابن رجب في ترجمته: «سمع الحديث من الجوهرري، والعُشاري، وأبي علي الجازري، والمباركي، وأبي الفضل بن الكوفي، والقاضي أبي يعلى وأبي جعفر ابن المسلمة، وأبي الحسين بن المهدي، وكتب بخطه كثيراً من مسموعاته - إلى أن قال - وحدث بالكثير من مسموعاته على صدق واستقامة، روى عنه ابن

(١) انظر مبحث عقيدته (ص ٣١).

(٢) انظر مبحث أدبه وشعره (ص ٤٤).

ناصر، وأبو المعمر^(١) الأنصاري، وأبو طالب بن خضير، وسعد الله ابن الدجاجي، ووفاء بن الأسعد التركي، وأبو الفتح بن شاتيل وغيرهم، وروى عنه ابن كليب بالإجازة^(٢) انتهى المراد من كلامه.

وقال الحافظ الذهبي: كان أبو الخطاب من محاسن العلماء، خيراً صادقاً، حسن الخلق، حلو النادرة، من أذكى الرجال، روى الكثير، وطلب الحديث وكتبه، ولابن كليب منه إجازة^(٣).

ونقل الذهبي عن الحافظ السلفي^(٤) قوله فيه «هو ثقة رضي، من أئمة أصحاب أحمد»^(٥).

ونقله ابن رجب بآتم من هذا وفيه «... وكان عدلاً رصياً ثقة»^(٦).

وقال ابن الجوزي في المنتظم: كان ثقة ثبناً غزير الفضل والعقل^(٧).

فهذا طرف من ذكر شيوخه وتلاميذه^(٨) في الحديث، وتوثيق العلماء له، ولا غرابة فأبو الخطاب فقيه حنبلي، والحديث سابق للفقهِ وتمسك الحنابلة بنصوص الكتاب والسنة وآثار السلف معروف، بل إنهم متهمون بالجمود

(١) في الذيل «أبو نعم الأنصاري» والصواب ما أثبت كما في ترجمة أبي الخطاب في سير أعلام النبلاء وغيرها.

(٢) الذيل لابن رجب (١/١١٦، ١١٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٩/٣٥٠).

(٤) أحد تلاميذ أبي الخطاب، وستأتي ترجمته (ص ٥٧).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٩/٣٤٩).

(٦) الذيل لابن رجب (١/١١٧).

(٧) المنتظم (٩/١٩٠).

(٨) انظر: مبحث شيوخه (ص ٤٨ وما بعدها) ومبحث تلاميذه (ص ٥٢ وما بعدها).

عليها ، وهذا كتاب الانتصار لأبي الخطاب خير شاهد له في هذا الفن لما حواه من كثرة الأحاديث والآثار.

ومع هذا فإن أبا الخطاب - رحمه الله - لم يبلغ في فن الحديث ما بلغه في فنّ الفقه ، ولهذا اشتهر فقيهاً ولم يشتهر محدّثاً . وسيأتي في مبحث^(١) «نقد كتاب الانتصار» ما يشهد لهذا . والله الموفق .

ب - وأما الفقه وأصوله فهو الفن الذي برع فيه أبو الخطاب واشتهر به ، وصنّف فيه ودرّس وأفتى ، وشهد له بفضل علماء مذهبه وغيرهم .

قال عنه ابن رجب : درس الفقه على القاضي أبي يعلى ، ولزمه حتى برع في المذهب والخلاف ، وقرأ عليه بعض مصنفاته ، وقرأ الفرائض على أبي عبد الله الويّ ، وبرع فيها أيضاً ، وصار إمام وقته وفريد عصره في الفقه ، ودرّس وأفتى وقصده الطلبة .

وصنّف كتباً حسناً في المذهب والأصول والخلاف وانتفع بها بحسن قصده - ثم ذكر مصنفاته^(٢) إلى أن قال - وقرأ عليه الفقه جماعة من أئمة المذهب منهم عبد الوهاب بن حمزة ، وأبو بكر الدّينوري ، والشيخ عبد القادر الجيلي الزاهد وغيرهم^(٣) .

وقال عنه ابن النّجار : درس الفقه على أبي يعلى ، وقرأ الفرائض على الويّ وصار إمام وقته وشيخ عصره ، وصنّف في المذهب والأصول والخلاف والشعر الجيد^(٤) .

(١) انظر (ص ٨٩ وما بعدها) .

(٢) انظر : مبحث مصنفاته (ص ٦١ وما بعدها) .

(٣) الذيل لابن رجب (١/١١٦ ، ١١٧) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٩/٣٥٠) .

وقال أبو الكرم ابن الشَّهْرُزُورِي^(١): كان إلكيّا^(٢) إذا رأى أبا الخطاب الكَلُوداني مقبلاً قال:

«قد جاء الجبل»^(٣).

وقال أبو بكر النُّقُور^(٤) كان إلكيّا الهَرَّاسِيّ إذا رأى أبا الخطاب قال «قد جاء الفقه»^(٥).

وقال تلميذه السِّلْفِيّ: أبو الخطاب من أئمة أصحاب الإمام أحمد يفتي على مذهبه وينظر وكان عدلاً رضىً ثقة . . .»^(٦).

وغير هذا كثير من شهادة العلماء لأبي الخطاب بالإمامة في الفقه .
ولأبي الخطاب - رحمه الله - آراؤه واختياراته في المذهب، بل وتفردّه ببعض المسائل أحياناً .

(١) هو الإمام المقرئ، أبو الكرم، المبارك بن الحسن بن أحمد الشَّهْرُزُورِي البغدادي، ولد سنة ٤٦٢ هـ وتوفي سنة ٥٥٠ هـ .

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٨٩/٢٠ - ٢٩١) ومعجم المؤلفين (١٧١/٨) .

(٢) بكسر الهمزة واللام ساكنة والكاف مكسورة بعدها مثناة تحتية معناه الكبير القدر .

واسمه: علي بن محمد بن علي إلكيّا الهَرَّاسِيّ إمام الشافعية في زمانه والمناظر عنهم، برع في الفقه والأصول والخلاف وولي التدريس بالنظامية ببغداد إلى أن توفي سنة ٥٠٤ هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء (٣٥٠/١٩ - ٣٥٢) والمدخل لابن بدران (ص ٤٥٥ وفيه ضبط شهرته) ومعجم المؤلفين (٢٢٠/٧) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٤٨/١٩) .

(٤) هو أبو بكر: عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن النقور البغدادي البزاز، وصفه الذهبي بالشيخ المحدث الثقة الخير . ولد سنة ٤٨٣ هـ وتوفي سنة ٥٦٥ هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء (٤٩٨/٢٠ - ٤٩٩) والعبر (٤٦/٣) وعنه شذرات الذهب (٢١٥/٤) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٣٤٩/١٩) وشذرات الذهب (٢٨/٤) .

(٦) الذيل لابن رجب (١١٧/١) وشذرات الذهب (٢٨/٤) وانظر ترجمة السلفي في تلاميذ أبي الخطاب (ص ٥٧) .

قال ابن رجب: كان أبو الخطاب - رضي الله عنه - فقيهاً عظيماً كثير التحقيق، وله من التحقيق والتدقيق الحسن في مسائل الفقه وأصوله شيء كثير جداً، وله مسائل ينفرد بها عن الأصحاب^(١).

ثم ذكر أمثلة على ذلك .

بل إن اختياره أحياناً يكون مخالفاً لشيخه أبي يعلى الذي كان لا يذكره إلا بلقب شيخنا مما يدل على تميّز شخصية أبي الخطاب العلمية^(٢).

ومن أمثلة ما خالف فيه شيخه في كتابنا هذا من مسائل الصلاة:

قوله - في مسألة: إذا صلى المسلم في أول وقت الصلاة، ثم ارتدّ ثم عاد فأسلم قبل أن يخرج الوقت لم يلزمه إعادة الصلاة، وكذلك الحج . . . (ص ٣٢٥).

«وقال شيخنا: قياس المذهب أن لا يعيد الصلاة ويعيد الحج» (ص ٣٢٧).

وعقب عليه أبو الخطاب بقوله «ولا أعرف وجهه، واعتمد على أن الصلاة يفعل أمثالها في الإسلام الثاني والحج لا يفعل أمثاله، وسمّي حجّة الإسلام، فلا بدّ في هذا الإسلام الثاني من حجّة، وهذا ظاهر الفساد؛ فإنه إن كان الحجّة في الإسلام الأول بطلت بالرّدّة فالصلاة في أول وقت الصلاة تبطل بالردة، وإذا أسلم لزمه حجة الإسلام فيجب أن تلزمه ههنا صلاة الوقت؛ فإنّ وقت الحج جميع العمر، كما أنّ وقت الصلاة ما شرع لها، وتسمية حجة الإسلام تسمية صلاة الظهر والعصر» (ص ٣٢٧).

وفي مسألة: الصلاة على شهيد المعركة ذكر أربع روايات كان اختيار شيخه منها: أن لا يصلى عليه، وانتصر هو لرواية الصلاة عليه. (ص ٧٠٥).

(١) الذيل لابن رجب (١/١٢٠) وانظر ما بعدها في أمثلة ما تفرد به .

(٢) وانظر: أمثلة لما خالف فيه شيخه أبا يعلى من مسائل الأصول في مقدمة كتاب التمهيد (١/٩٥ وما بعدها).

ومع علو مكانة أبي الخطاب - رحمه الله - في الفقه فقد قال ابن رجب رحمه الله: «صنّف بعض أصحابنا وهو الوزير ابن يونس^(١) مصنّفًا في أوهام أبي الخطاب في الفرائض ومتعلقاتها من الوصايا والمسائل الحسابية ولم أقف عليه كله بل على بعضه، لكن لأبي الخطاب في هذه المواضع مسائل متفرقة يقال: إنه وهم وغلط - ثم ذكر أمثلة لذلك مبينًا أنّ الوهم في بعضها من غير أبي الخطاب، ومصحّحًا وجهة أبي الخطاب في بعضها ثم قال: - ولولا خشية الإطالة وأن نخرج عما نحن بصدده من التراجم لذكرنا هذه المسائل مسألة مسألة، وبيننا ما وقع فيه الوهم من غيره، ولكن نذكر ذلك في موضع آخر إن شاء الله تعالى»^(٢). انتهى المراد من كلامه.

فأنت ترى أن ابن رجب يورد ما نسب إلى أبي الخطاب من أوهام في مسائل معينة مدافعًا عنه وواعدًا بتتبعها وبيان ما وقع فيها الوهم من أبي الخطاب مما وقع فيها الوهم من غيره.

ونأمل أن يخرج كتاب التهذيب في الفرائض لأبي الخطاب محققًا ومحققًا الحق في هذه المسائل.

ثم إنّ هذه الأوهام - إن صحت عنه رحمه الله - فمن ذا الذي يسلم من الوهم إلا من عصمه الله - من أنبياء الله ورسله - ثم إنها مسائل معدودة «وكفى المرء نبلاً أن تعد معايبه».

٦ - عقيدته:

إنّ أبا الخطاب - رحمه الله - أحد أعيان أئمة الحنابلة، وهم على وجه العموم ينهجون منهج إمامهم إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل - رحمه

(١) هو الوزير أبو المظفر، عبد الله بن يونس بن أحمد البغدادي المتوفى سنة ٥٩٣ هـ.

انظر ترجمته في: الذيل لابن رجب (١/٣٩٢-٣٩٥).

(٢) الذيل لابن رجب (١/١٢٦-١٢٧).

الله - وهو المنهج السلفي القائم على الاعتصام بالكتاب والسنة والتحذير من البدع ومن الخوض في مسائل الاعتقاد بلا برهان من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

لذا نرى أبا الخطاب - رحمه الله - يبيّن لنا في قصيدته المشهورة في بيان معتقده أن منهجه في العقيدة هو منهج الإمام أحمد - رحمه الله - حيث يقول :

واقصد فإني قد قصدت موفّقًا نهج ابن حنبل الإمام الأوحـد
خير البريّة بعد صحب محمّدٍ والتابعين إمام كلّ موحّدٍ
ذي العلم والرأي الأصيل ومن حوى شرقًا علا فوق السُّها والفرقـدِ

ثم يورد بعد ذلك في تلك القصيدة جملة من أهم مسائل العقيدة على طريقة السؤال والجواب ينهج فيها نهج السلف .

إنه قد يقع لأبي الخطاب - كما سيأتي في التعليق على هذه القصيدة - ما يقع لبعض^(١) من أجلاء علماء مذهبه من مجارة بعض أهل الكلام في بعض المسائل عن حسن نية، ثم يتّضح بتأملها مخالفتها لمذهب السلف، وحسب المرء حسن نيته وسلامة منهجه وبذل جهده وكلُّ يؤخذ من قوله ويردُّ إلا من عصمه الله من الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - المبلغين دين الله إلى عباد الله .

وسأكتفي بإيراد تلك القصيدة، لأنها تمثل منهجه وتبيّن بعض آرائه في أهم مسائل الاعتقاد، إذ هذا هو مقصودنا هنا، وأما بسط الكلام في هذا الموضوع فله محلّه الذي لا يتسع له هذا المبحث .

(١) انظر أمثلة ذلك في : مجموع الفتاوى (٥٢/٦ - ٥٦) .

والقاضي أبو يعلى وكتابه الإبان خاصة الصفحات (ص ١٣٦ - ١٣٧ رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة للزميل سعود الخلف) .

وقصيدة أبي الخطاب هذه قد طبعت مراراً^(١) ضمن تراجمه كما في المنتظم ومختصر طبقات الحنابلة للناقلي والمنهج الأحمد للعليمي، أو ضمن مجاميع بعض الرسائل في معتقد السلف^(٢) أو في مقدمة كتبه المطبوعة كالهداية والتمهيد^(٣).

إلا أنني لم أجد لها نصّاً محققاً تحقيقاً علمياً، ولم أجد لها شرحاً ولا تعليماً على بعض أبياتها التي تحتاج إلى بيان، لذا سأوردها من أصح مصادرها وهو

(١) منها طبعة مستقلة بعناية جميل مختصر طبقات الحنابلة المتوفى سنة ١٣٧٩هـ (معجم المؤلفين ١٦١/٩ محمد جميل الشطي).

نَبّه عليه محقق مختصر طبقات الحنابلة للناقلي في حاشيته عليه حيث أثبت فيها مقابلة نصّها في مختصر الناقلي بنصّها في طبعة الشطي المستقلة. (ص ٤١١).

ولم أطلع على طبعة الشطي هذه ولا على مختصره.

(٢) انظرها ضمن ترجمة أبي الخطاب في المنتظم (٩/١٩٠ - ١٩٢) ومختصر طبقات الحنابلة للناقلي (ص ٤١٠ - ٤١٢) والمنهج الأحمد (٢/٢٣٤ - ٢٣٦) وانظرها ضمن مجموعة الرد الوافر المطبوع سنة ١٣٢٦هـ (ص ٥٦٢ - ٥٦٤) وهو يشتمل على تسع رسائل أولها كتاب الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي وثامنها قصيدة أبي الخطاب بعنوان: عقيدة أهل الأثر).

وانظرها ضمن مجموعة الرسائل الكمالية (ص ١٣٠ - ١٣٢) وفي كتاب عقيدة المسلمين والرد على الملحدين المبتدعين للشيخ صالح بن إبراهيم البليهي (ص ٤١١ - ٤١٣).

ويلاحظ: أن جميع هذه المصادر عدا المنتظم أقرب إلى أصل واحد، ومعلوم أن أقدمها ما في مختصر الناقلي المتوفى سنة ٧٩٧هـ ثم العلّيمي في المنهج المتوفى سنة ٩٢٨هـ ونصّها أشبه بنص واحد والاختلاف بينهما وبين باقي هذه المجموعة يسير وبعضه إلى التصحيف أو التحريف أقرب.

ومن نَبّه على هذه القصيدة في ترجمة أبي الخطاب مقتصرًا على ذكر بعض أبياتها. الذهبي في سير أعلام النبلاء مقتصرًا على ذكر البيتين في الاستواء (١٩/٣٤٩).

وابن كثير في البداية مقتصرًا على ذكر ثلاثة أبيات من مطلعها (١٢/١٨٠).

وابن تَعْرِي بَرْدِي في النجوم الزاهرة مقتصرًا على ذكر بيتين من مطلعها (٥/٢١٢).

والزركلي في الأعلام مَنَّبَهَا على طبعها بعنوان «عقيدة أهل الأثر» وهذا هو العنوان لها في مجموعة الرد الوافر كما تقدّم، ولعلّه عنوانها في الطبعة المستقلة لجميل الشطي التي لم أطلع عليها، والله أعلم.

(٣) انظر مقدمة الهداية (١/٤ - ٦) والتمهيد (١/٥٥ - ٥٧). وكلاهما عن المنتظم.

المنتظم لابن الجوزي - رغم أنه غير محقق أيضًا - مع مقارنة النص فيه بنصوصها الأخرى المطبوعة . والله الموفق .

قال ابن الجوزي في المنتظم :

أنشدنا محمد بن ناصر الحافظ^(١) قال : أنشدنا أبو الخطاب محفوظ ابن

أحمد لنفسه :

- ١ - دَعَّ عَنْكَ تَذْكَارَ الْخَلِيطِ الْمُنْجِدِ وَالشُّوقَ نَحْوَ الْآنَسَاتِ الْخَرْدِ
- ٢ - وَالنُّوحَ فِي أَطْلَالِ سُعْدَى إِنَّمَا تَذْكَارُ سُعْدَى شُغْلٌ مِنْ لَمْ يُسْعِدِ
- ٣ - وَاسْمِعْ مَقَالِي إِنْ أَرَدْتَ تَخْلُصًا يَوْمَ الْحِسَابِ وَخُذْ بَهْدِي تَهْتِدِ
- ٤ - وَاقْصِدْ فَإِنِّي قَدْ قَصِدْتُ مُوَفَّقًا مَهْجَ ابْنِ حَنْبَلِ الْإِمَامِ الْأَوْحَدِ
- ٥ - خَيْرِ الْبَرِيَّةِ بَعْدَ صَحْبِ مُحَمَّدٍ وَالتَّابِعِينَ إِمَامَ كُلِّ مَوْحِدِ
- ٦ - ذِي الْعِلْمِ وَالرَّأْيِ الْأَصِيلِ وَمَنْ حَوَى شَرَفًا عَلَا فَوْقَ الشُّهَا وَالْفَرْقَدِ
- ٧ - وَاعْلَمْ بِأَنِّي قَدْ نَظَّمْتُ مَسَائِلًا لَمْ أَلْ فِيهَا النَّصْحَ غَيْرَ مُقْلَدِ

(١) انظر ترجمته (١/٥٤) وذكر ابن رجب في ترجمة سعد الله بن نصر أنه روى عن أبي الخطاب الهداية وقصيدته في السنة وغيرها .

٢ - في بقية المصادر (وَأُخِذَ بِهَذَا)

٣ - في بقية المصادر (. . . قَدْ قَفَيْتُ . . .) ووقعت في المختصر والمنهج (قضيت) وهي إلى التصحيف أقرب .

٦ - في بقية المصادر (فوق السما) ما عدا عقيدة المسلمين فهي كالمنتظم .

والشُّهَا : بضم السين المهملة ، قال في الصحاح : كوكب خفي في بنات نعش الكبرى والناس يمتحنون به أبصارهم ، وفي المثل «أريها الشُّهَا وتريني القمر» (٦/٢٣٨٦) ومثله اللسان (٤٠٨/١٤) .

والفَرْقَدُ : بفتح الفاء وإسكان الراء وفتح القاف : واحد الفَرْقَدَيْنِ .

قال في اللسان : الفَرْقَدَانُ : نجمان في السماء لا يغربان ولكنها يطوفان بالجدلي . =

- ٨- وأجبت عن تَسْأَلِ كُلِّ مُهَيَّبٍ ذي صولة عند الجدالِ مُسَوِّدٍ
٩- هَجَرَ الرَّقَادِ وَبَاتَ سَاهِرَ لَيْلِهِ ذي همةٍ لا يستلذُّ بِمَرْقَدِ
١٠- قَوْمٌ طَعَامُهُمْ دِرَاسَةٌ عِلْمُهُمْ يتسابقون إلى العُلا والسُّودِ
١١- قَالُوا: بِمَا عَرَفَ الْمَكْلَفَ رَبَّهُ؟ فأجبتُ بالنظر الصحيح المرشِدِ
١٢- قَالُوا: فَهَلْ رَبُّ الْخَلَائِقِ وَاحِدٌ؟ قلتُ: الكمالُ لربِّنا المتفرِّدِ

= وقيل: هما كوكبان قريبان من الطب. وقيل: هما كوكبان في بنات نعش الصغرى. . وربما قالت
لها العرب: القَرَقَد (٣/ ٣٣٤).
واقصر في الصحاح على القول الثاني (٢/ ٥١٩).
٨- في بقية المصادر «... يوم الجدال...».
١١- وقع في مجموعة الرد الوافر والرسائل الكمالية (.. بالنظم...) بالميم بدل الراء، وهو تصحيف
وصوابه «النظر، كما في المنتظم وبقية المصادر».
وفي هذا النظر - الذي جعله أبو الخطاب طريقاً وحيداً لمعرفة الله تعالى - نظر من وجوه:
أولها: أن مقصوده «بالنظر» - هنا - هو النظر في الأدلة العقلية دون الشرعية، وقد أفصح عن هذا في
كتابه «التمهيد» في بحثه مسألة التحسين والتقيح العقليين، حيث انتصر لها وفرَّع عليها أن
وجوب معرفة الله وطريقها العقل، بل صرَّح باستحالة أن يكون طريق معرفة الله تعالى السمع^(١).
ثانيها: أن المتبادر من إطلاق «النظر» و«العقل» هو ما عرف عن أهل الكلام من النظر العقلي الجدلي
الفلسفي المبني على مقدمات ونتائج معيَّنة زعموا أنها وحدها الأدلة القطعية اليقينية الموصلة إلى
معرفة الخالق جلَّ وعلا.
وهذا مذهب باطل يكفي في بطلانه ما علم من الدين بالضرورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يدع الناس إلى معرفة الله والإيمان به عن طريق تلك الطرق الكلامية المعينة، وأن خيار هذه الأمة
قد بلغوا من الإيمان ما لا مطعم لأحد - بعدهم - في الزيادة عليه بدون أن يسلكوا تلك الطرق
الكلامية الفلسفية المحدثه، مما يدل على الاستغناء عنها - حتى لو كان فيها ما هو صحيح -
فضلاً عن أن يتوقف عليها معرفة الله تعالى وصدق رسوله وإيمان المؤمنين بالله وبما جاءت به رسل
الله عليهم الصلاة والسلام^(٢).
=

(١) انظر: قوله في التمهيد (٤/ ٣٠٠-٣٠١) وانظر المسألة المشار إليها فيه (٤/ ٢٩٤-٣٠٦).

وقد نقل بعض نصوصه فيها مع التعليق على بعضها شيخ الإسلام في دره تعارض العقل والنقل (٩/ ٥٠-٦٦).

(٢) انظر: دره تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٠٨، ٨-٦، ١٢) ومجموع الفتاوى (٦/ ٥٠) ورسالة الصفات الاختيارية لشيخ الإسلام
أيضاً (٢/ ٣٢-٣٣ - ضمن جامع الرسائل).

= لكن لعلّ أبا الخطاب لا يقصد «بالنظر» والعقل، تلك الطرق الكلامية، وإنما مقصوده العلم الذي يقوم بالقلب ومتيسّر فهمه على العالم والعامي وإن لم يكن قادراً على نظم الدليل وبيانه بالعبارة، ولا دفع معارضة المعارض بها كما حكاها شيخ الإسلام عن جمهور من يوجبون النظر على الأعيان (انظر درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٤٥٢).

بل قد أشار شيخ الإسلام إلى أن هذا هو مراد أبي الخطاب - حين نقل نصه من التمهيد مع بعض أدلته - ثم قال: «هذه الأدلة فيها للمنازعين كلام يحتاج معه إلى فصل الخطاب كما ذكر في موضعه وهذه الطريقة التي سلكها أبو الخطاب وغيره من أهل النظر من المعتزلة وغيرهم بنوها على أن معرفة الله تحصل بالاستدلال بنفس الإنسان ولا يحتاج مع ذلك إلى إثبات حدوث الأجسام كما سلك الأشعري أيضاً هذه الطريقة «انتهى المراد من كلامه»^(١).

ثالثها: إذا كان مقصوده بمعرفة الله تعالى - هنا - هي مجرد معرفة وجود الخالق سبحانه وتعالى فطرق هذه المعرفة واسعة كما قاله شيخ الإسلام رحمه الله.^(٢)

فهي ضرورة فطرية^(٣) وتحصل أيضاً بالنظر في الأدلة العقلية والشرعية، والشرع هو الحاكم والمهيمن على سلامة الفطرة والعقل فيقوم ما يعتري الفطرة من انحراف ويبين للعقل ما يقصر عن إدراكه أو يجتار فيه، وأدلة الشرع ليست أخباراً مجردة، بل كما جاء الشرع بالأدلة السمعية الخبرية التي لا تدرك إلا عن طريق الوحي فقد جاء أيضاً بالإرشاد والتنبيه والبيان للدلائل العقلية كضرب الأمثال والتفكير في خلق الإنسان، والكون، فهي شرعية باعتبار مجيء الشرع بها وهداية الناس إليها وعقلية باعتبار إدراك العقل صحتها.^(٤)

وأما إذا كان مقصوده بمعرفة الله تعالى المعرفة التفصيلية بأسائه وصفاته وحقه على عبده بتوحيده وإخلاص العبادة له، والمعرفة التي يحصل بها الإيذان الذي يفرّق به بين المؤمنين والكافرين فهذه المعرفة يستحيل أن يستقل بها العقل عن الشرع.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٥٦ - ٥٧).

(٢) (انظر: درء تعارض العقل والنقل ٣/ ٣٣٣ - ٣٣٤، ٨/ ١٢، ١٧ - ٢٥، ٤٦، ٤٨٢، ٩/ ٦٦).

ومجموع الفتاوى (٦/ ٥٠).

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٧٢، ٨/ ٣٨، ٤٤٠) ومجموع الفتاوى (٢/ ٣، ٦، ٦/ ٧٣).

والقائد إلى تصحيح العقائد لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ص ٣١ - ٣٢).

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٨، ١٩٩، ٧/ ٣٥٣ - ٣٥٠، ٤٠٣ - ٤٠٤، ٨/ ٢٢ - ٢٥، ٣٦ - ٣٧، ٩/ ٣٩) ومجموع

الفتاوى (٦/ ٧١) والقائد إلى تصحيح العقائد (ص ٣١ - ٣٢).

- ١٢ - قالوا: فهل ربُّ الخلائقِ واحدٌ؟ قلتُ: الكمالُ لربِّنا المتفرِّدِ
 ١٣ - قالوا: فهل اللهُ عندك مشبهٌ؟ قالتُ: المشبهُ في الجحيمِ الموصدِ
 ١٤ - قالوا: فهل تصِفُ الإلهَ؟ أينُ لنا
 ١٥ - قالوا: فهل تلكَ الصِّفاتُ قديمةٌ؟ كالذَّاتِ قلتُ: كذاكَ لم تتجدِّدِ

= وقد لخص شيخ الإسلام الخلاف في هذه المسألة (في درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٤٥٨) بقوله «... وحقيقة المسألة أن المعرفة منها ما يحصل بالعقل، ومنها ما لا يعرف إلا بالشرع، فالإقرار الفطري كالإقرار الذي أخبر الله به عن الكفار قد يحصل بالعقل كقوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ سورة لقمان آية (٢٥).

وأما ما في القلوب من الإيمان المشار إليه في قوله تعالى ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ (سورة الشورى آية ٥٢).

فلا يحصل إلا بالوحي كما في قوله تعالى ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إليّ ربِّي﴾ اهـ. (سورة سبأ آية ٥٠).

ثم إن مجرد المعرفة بالخالق سبحانه وتعالى لا يصير بها العبد مؤمنا حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله معتقداً معناها عاملاً بمقتضاها.

وقد تكرر من أبي الخطاب إطلاق القول بأن الإسلام هو معرفة الباري وصدق رسوله في كتابه هذا الانتصار.

وفي هذا الإطلاق قصور واضح، بل ظاهره يتفق مع مذهب الجهمية ويلزم منه إيمان كل من عرف وجود الخالق سبحانه وتعالى من الكفرة المستكبرين كإبليس وفرعون واليهود المنكرين رسالة محمد ﷺ.

وأبو الخطاب لا يقصد هذا المعنى قطعاً بدليل قوله في قصيدته هذه:

قالوا: فما الإيمان؟ قلت: مجاوباً عمل وتصديق بغير تبليد

وفي بعض النسخ «بغير تردّد»

فالتصديق بدون تردّد هو اعتقاد القلب، والعمل شامل لنطق اللسان بالشهادتين وأعمال الجوارح وهذه حقيقة الإيمان عند أهل السنّة والجماعة. والله الموفق.

١٣ - في مجموعة الرد الوافر والكمالية وعقيدة المسلمين (. . . الموقد).

١٥ - في مجموعة الرد الوافر والكمالية والمنهج الأحمد (. . يتجدد) بالثنائية التحتية في أوله.

= وقول أبي الخطاب إن صفات الله عز وجل قديمة كالذات لم تتجدد فيه تفصيل:

- ١٦ - قالوا: فأنت ترأه جسماً مثلنا؟ قلت: المُجسَّمُ عندنا كالمُجلِّدِ
١٧ - فهل هو في الأماكن كُلِّها فأجبتُ: بل في العلوِّ مذهبَ أحمدِ

= فإنَّ صفات الله سبحانه وتعالى على قسمين :

القسم الأول: الصفات الذاتية، وهي المتعلقة بذاته سبحانه وتعالى لا تنفك عنه كالعلم والحياة، فهذه ينطبق عليها ما قاله أبو الخطاب .

والقسم الثاني: صفات الأفعال، وتسمى أيضاً الصفات الاختيارية وهي: التي تقوم بذاته سبحانه وتعالى بمشيئته وقدرته كالكلام والغضب والرضى، فهذه نوعها قديم كالذات، وأما أعيانها المعيّنة فهي متعلّقة بمشيئته وقدرته متى شاء وإذا شاء وكيف ولهذا قالوا فيها: قديمة النوع حادثة الآحاد^(١).

١٦ - في بقية المصادر (. . . جسماً قُلْ لَنَا؟ . . .) .

وظاهر كلام أبي الخطاب نفي الجسم مطلقاً بدون تفصيل وفيه نظر، فإنَّ لفظ الجسم من الألفاظ المبتدعة التي لم يرد بها الشرع لا نفيًا ولا إثباتًا، ولذا توقّف الإمام أحمد وغيره من أهل السنة والجماعة عن إثبات أو نفي لفظ «الجسم» بل أنكروا على من أثبت ذلك اللفظ أو نفيه، وليس ذلك لخلو النقيضين من الحق أو تقصير منهم في بيان الحق - كما قاله شيخ الإسلام^(٢) - ولكن لأنَّ ذلك اللفظ من الألفاظ المحدثه، ولأنه مجمل يحتمل حقًا وباطلاً فلا يُنفى مطلقاً خشية الإيهام بنفي ما يحتمله من الحق، ولا يثبت مطلقاً خشية إثبات ما يحتمله من الباطل، وإنما يجاب عنه بعد الاستفسار عن مراد المتكلم به فإن أراد به معنى صحيحًا أثبتناه، كأن يقصد به إثبات ذات الله متصفة بصفات الجلال والكمال على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى. وإن أراد به معنى باطلاً نفيناه كأن يريد به إثبات جسم لله يشبه أجسام المخلوقات فهو سبحانه ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ سورة الشورى آية رقم (١١).

ومع هذا فلا نقول في كلا الحالين «إنه جسم أو غير جسم»^(٣) والله أعلم .

١٧ - في هذا البيت إثباته صفة العلو لله عزَّ وجلَّ كما هو مذهب الإمام أحمد وسائر السلف وهذا هو الحق . ونحوه قوله في آخر أبيات هذه القصيدة .

قالوا: أبان الكلُّوذاني الهدى قلت: الذي فوق السماء مؤيدي =

(١) انظر: رسالة الصفات الاختيارية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٣ - ٧٠ ضمن جامع الرسائل) والأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للشيخ عبد العزيز السلمان (ص ٥٧).

(٢) دره تعارض العقل والنقل (١/٧٦).

(٣) المصدر السابق (١/٧٠ - ٧١، ٧٦، ٢٣٠ - ٢٣٣، ٢٣٨ - ٢٣٩، ٢٤٩ - ٢٥١) ومجموع الفتاوى (٥/٤٢٩ - ٤٣٤) ومختصر

الصواعق المرسله (ص ١١٢) والتحفه المهدية شرح الرسالة التدمرية (ص ١٢٩ - ١٥٤) وشرح نونية ابن القيم لمحمد خليل هراس (٣/١٦٩ - ١٨٣).

١٨ - قالوا: فترعّم أن على العرش استوى قلت: الصوابُ كذلك أخبر

= لكن قد ورد شطرا هذين البيتين بما لا ذكر فيهما للعلو، وورد في كتابه الانتصار هذا ما ظاهره عدم إثباته صفة العلو، فورد الشطر الثاني لهذا البيت في بقية المصادر عدا المختصر للنابلسي هكذا:

«قلت الأماكن لا تحيط بسيدي»

وورد الشطر الثاني من آخر أبيات هذه القصيدة في بقية المصادر عدا المختصر والمنهج هكذا:

«قلت: الذي رفع السماء مؤيدي»

وورد في كتابه الانتصار في مسألة «اشتباه القبلة» قوله: «... إن حقيقة شرط جواز الصلاة استقبال الله تعالى - إلى قوله - وفي استقبال الله تعالى على الحقيقة لا يتصور معنى الابتلاء، لأنه سبحانه لا جهة له، وما يتوجه شطراً إلا وثم وجهه كما أخبر فأقام الكعبة مقام الحقيقة، لتحقيق الابتلاء بقصد جهتها...».

فقوله «لأنه سبحانه لا جهة له» ظاهر في عدم إثباته صفة العلو لله عزّ وجلّ، ومعارض لقوله «بل في العلو مذهب أحمد»

وترجيح أحدهما على الآخر يحتاج إلى معرفة صحة رواية البيت، ثم معرفة تاريخ تأليفه «الانتصار» ونظمه تلك القصيدة، وهذا غير معروف على وجه التحديد.

ولو فرض صحة تلك الألفاظ جميعها عنه لكان رواية إثبات صفة العلو مقدمة على ما ظاهره عدم إثباتها، لأن احتمال رجوعه إليه واستقرار مذهبه عليه أولى من عكسه، ولأنه مذهب إمامه الذي ذكر في مطلع قصيدته أنه ينهج منهجه.

هذا مع العلم أن لفظ «الجهة» من الألفاظ التي لم يرد بها الشرع نفيًا ولا إثباتًا، ومذهب السلف التفصيل في إثباتها، فإن أريد بها حق أثبتوه، وإن أريد بها باطل نفوه، فيقال مثلاً: إن أريد بالجهة جهة السفلى أو إحاطة الأماكن به سبحانه فهذا باطل لا نقول به.

وأن أريد بها جهة العلو على الوجه اللائق بجلاله وأنه فوق سمواته مستو على عرشه بائن من خلقه فهذا حق ثابت، والله العلو المطلق صفة وذاتاً. ^(١) والله أعلم.

١٨ - في الرسائل الكيالية (. . . أن ذي العرش استوى) وصوابه لغة «أن ذا العرش . . .» ومعناه صحيح بتقدير «عليه».

وفي عقيدة المسلمين «أنه» وهو صحيح معنى، لكن يختل وزن البيت.

(١) انظر: رسائل في العقيدة للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين (ص ٦٨).

وكذلك الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام (٥/٢١-٣٦) ومجموع الفتاوى (٣/٤١-٤٢، ٥/٢٩٨-٣٠٦).

- ١٩ - قالوا: فما معنى استواءه؟ أبن لنا
 ٢٠ - قالوا: النزول؟ فقلت: (ناقله لنا)
 ٢١ - قالوا: فكيف نزوله؟ فأجبتهم
 ٢٢ - قالوا: فيُنظَرُ بالعيون؟ أبن لنا
 ٢٣ - قالوا: فهل لله علمٌ؟ قلتُ: ما
 ٢٤ - قالوا: فيوصف أنه متكلمٌ

١٩ - سؤال المعتدي هو السؤال عن كيفية الاستواء، أما معناه في لغة العرب وعند أهل السنة فمعلوم، وحاصل تفسيرهم له يدور على أربعة ألفاظ متفقة المعنى وهي: استقرّ، وعلّا، وارتفع وصعد، ولهذا قال الإمام مالك رحمه الله: «الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»^(١). والظاهر أنّ مراد أبي الخطاب «بسؤال المعتدي» هو السؤال عن الكيفية لا عن معنى الاستواء، لشهرة ذلك عن السلف، والله أعلم.

٢٠ - في مجموعة الرد الوافر والكمالية ومختصر النابلسي والمنهج الأحمد (قلت) وشطره الثاني فيها وفي عقيدة المسلمين هكذا:

«قَوْمٌ هُمْ نَقَلُوا شَرِيْعَةَ أَحْمَدٍ»

ووقع في المنتظم (ناقلة له) والمثبت من بقية المصادر وهو الصواب.

٢٢ - ٢٣ - غير موجودين في بقية المصادر.

٢٤ - في بقية المصادر (قالوا: تصفه . . .) و(. . . نقيصة بالسيد) وذلك محقق المختصر للنابلسي على

أنه وقع في القصيدة التي طبعها جميل الشطي على حدة (قالوا: فصفه . . .).

وصفة الكلام صفة كمال ثابتة لله عزّ وجلّ، ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى لم

يزل متكلمًا ولا يزال يتكلّم بمشيئته وقدرته كلامًا قائمًا بذاته، متى شاء وإذا شاء وكيف شاء.^(٢)

لكن هل يقال: إنه يتكلّم إذا شاء ويسكت إذا شاء؟

بعض السلف توقّف عن إطلاق لفظ «السكوت» ولعله لعدم صحة الأثر الوارد فيه أو عدم

دلّالته عليه، وبعضهم أثبتته ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حيث ذكر في فتاواه جملة

(١) انظر: شرح نونية ابن القيم لمحمد خليل هراس (١/٢٣٣ - ٢٣٤) والأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية للشيخ عبد العزيز

السلمان (ص ١٩٠) وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله الغنيان (١/٣٥٥ وما بعدها).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (ص ١٨٠) ومجموع الفتاوى (٦/٢١٨ - ٢١٩، ٣٠١، ٣١٢) وتوضيح الكافية الشافية لعبد الرحمن بن

ناصر السعدي (ص ٣٦ - ٣٧).

والأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية للشيخ عبد العزيز السلمان (ص ٢١٩).

٢٥ - قالوا: فما القرآن؟ قلتُ: كلامُهُ من غير ما حدثٍ وغير تجددٍ

= من المأثور عن السلف في هذا ثم قال: «فثبت بالسنة والإجماع أنَّ الله يوصف بالسكوت، لكن السكوت تارة يكون عن التكلم وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه» اهـ^(١).
وهذا يتبيَّن أنَّ النقص الذي نزه الله عنه هو عدم الكلام مطلقاً، أو عدم القدرة عليه، وأما المتكلم بمشيئته والسكوت بمشيئته فليس في هذا نقص وإنما يتوقف في إطلاق لفظ «السكوت» إذا لم يصح به النقل والله أعلم.

٢٥ - في مجموعة الرد الوافر والكمالية وعقيدة المسلمين ورد شرطه الثاني هكذا:
هكذا:

«لَا رَيْبَ فِيهِ عِنْدَ كُلِّ مُؤَحِّدٍ»

وهذا حق لا ريب فيه، لكن يلاحظ أن بينه وبين الشرط الثاني للبيت بعده تشابه والذي لم يرد له ذكر في تلك المصادر، فيحتمل أنه نقل إلى هنا وحذف من هناك.
وأما قوله «مِنْ غَيْرِ مَا حَدَّثَ وَغَيْرِ تَجَدُّدٍ» ففيه إجمال يحتاج إلى بيان المراد، فإن أراد أن القرآن غير محدث ولا متجدد بمعنى أنه غير مخلوق وأنَّ نوع الكلام قديم فهذا حق.
وإن أراد به نفى تكلمه سبحانه وتعالى بعين هذا الكلام المنزل حين أراد إنزاله فهذا ليس بمذهب أهل السنة والجماعة، فالقرآن هو كلام الله حقيقة تكلم به حين أراد إنزاله بكلام مسموع ألقاه على جبريل عليه السلام فبلغه جبريل إلى نبيِّنا محمد ﷺ فبلغه نبيُّنا محمد ﷺ إلينا، والكلام كلام الله لفظه ومعناه وليس لجبريل عليه السلام منه ولا لمحمد ﷺ إلا البلاغ.

وقد وصف الله القرآن بأنه محدث^(٢) بهذا المعنى فقال سبحانه وتعالى ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (سورة الأنبياء آية ٢) وقال سبحانه ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ (سورة الشعراء آية ٥).

وأما ما روي عن الإمام أحمد - رحمه الله - من إنكاره على من قال: «القرآن محدث» فإنه أنكر المعنى الباطل كأن يراد به إنه مخلوق أو أن الله عزَّ وجلَّ لم يكن قبل أن يتكلم بالقرآن متكلماً بمشيئته وقدوته متى شاء وإذا شاء^(٣).

(١) مجموع الفتاوى (١٧٩/٦) - وانظر ما قبلها (١٦٠ - ١٦٣ ، ١٧٧ - ١٧٩).

(٢) انظر رسالة الصفات الاختيارية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/٢) وما بعدها ضمن جامع الرسائل). ومجموع الفتاوى (٢١٨/٦) ومجموعة الرسائل والمسائل له (١/٣/١ - ٤٨٩ - ٤٩٠).

(٣) انظر: تقرير هذا المعنى في مجموع الفتاوى (١٦٠/٦ - ١٦٣).

- ٢٦ - قالوا: الذي نتلوهُ؟ قلت: كَلَامُهُ
 ٢٧ - قالوا: فَأَفْعَالُ الْعِبَادِ؟ فقلتُ: مَا
 ٢٨ - قالوا: فَهَلْ فِعْلُ الْقَبِيحِ مُرَادُهُ؟
 ٢٩ - قالوا: فما الإيمان؟ قلتُ مجابوياً
 ٣٠ - قالوا: فما الإيمان؟ قلتُ مجابوياً
 لا ريبَ فيه عندَ كُلِّ مُسَدِّدٍ
 منْ خالقِ غيرِ الإلهِ الأَمجدِ
 قلتُ: الإرادةُ كُلُّهَا لِلسَّيِّدِ
 سبحانه عن أن يُعَجِّزَ في الرَّدِي
 عملٌ وتصديقٌ بغيرِ تبَلُّدٍ

= قال شيخ الإسلام - رحمه الله - بعد حكاية ذلك الإنكار عن الإمام أحمد قال: «والإطلاقات توهم خلاف المقصود، فيقال: إن أردت بقولك «محدث» أنه مخلوق منفصل عن الله - كما تقوله الجهمية والمعتزلة والنجارية - فهذا باطل لا نقوله.

وإن أردت بقولك أنه كلام تكلم الله به بمشيئته بعد أن لم يتكلم به بعينه - وإن كان قد تكلم بغيره قبل ذلك مع أنه لم يزل متكلماً إذا شاء - فإننا نقول بذلك، وهو الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة وهو قول السلف وأهل الحديث . . .» (١).

وبين رحمه الله في موضع آخر أن السلف قالوا: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وقالوا: لم يزل متكلماً إذا شاء، فبينوا أن كلام الله قديم، أي جنسه قديم لم يزل، ولم يقل أحد منهم: إن نفس الكلام المعين قديم، ولا قال أحد منهم القرآن قديم، بل قالوا إنه كلام الله منزل غير مخلوق، وإذا كان الله قد تكلم بالقرآن بمشيئته كان القرآن كلامه وكان منزلاً منه غير مخلوق، ولم يكن مع ذلك أزلماً قديماً بقدم الله وإن كان الله لم يزل متكلماً إذا شاء، فجنس كلامه قديم، فمن فهم قول السلف وفرق بين هذه الأقوال زالت عنه الشبهات في هذه المسائل المعضلة التي اضطرب فيها أهل الأرض . انتهى المراد من كلامه رحمه الله (٢).

٢٦ - وفي مختصر النابلسي والمنهج الأحمد: «قالوا: فَمَا تَتْلُوهُ . . .» و « . . . كُلُّ مُوَحَّدٍ ».

ولم يرد للبيت ذكر في بقية المصادر

٢٩ - في بقية المصادر (لَوْ لَمْ يُرِدْهُ وَكَانَ، كَانَ نَقِيصَةً) وفيها عدا المختصر والمنهج الأحمد «يعجزه الرَّدِي»

٣٠ - في المنهج الأحمد « . . . عملاً وتصديقاً »

وفي بقية المصادر عدا المختصر والمنهج الأحمد « . . . بغير تردُّدٍ »

(١) مجموع الفتاوى (١٦١ / ٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٥٤ / ١٢).

٣١- قالوا: فمن بعد النبي خليفة؟
 ٣٢- حاميه في يوم العريش ومن له
 ٣٣- خير الصحابة والقراية كلهم
 ٣٤- قالوا فمن صدیق أحمد؟ قلت: من
 ٣٥- قالوا: فمن تالي أبي بكر الرضى؟
 ٣٦- فاروق أحمد والمهدب بعده
 ٣٧- قالوا: فثالثهم؟ قلت: مسارعاً
 ٣٨- صهر النبي على ابنتيه، ومن حوى
 ٣٩- أعني ابن عفان الشهيد ومن دعي
 ٤٠- قالوا: فرابعهم؟ قلت: مبادراً
 ٤١- زوج البتول وخير من وطئ الحصى
 ٤٢- أعني أبا الحسن الإمام ومن له
 ٤٣- ولابن هند في الفؤاد محبة

قلت: الموحد قبل كل موحد
 في الغار مُسعدُ ياله من مُسعدٍ
 ذاك المؤيد قبل كل مؤيد
 تصدقه بين الورى لم يُجحد
 قلت: الإمارة في الإمام الأزهد
 نصر الشريعة باللسان وباليد
 من بايع المختار عنه باليد
 فضلين، فضل تلاوة وتهجد
 في الناس ذا النورين صهر محمد
 من حاز دونهم أخوة أحمد
 بعد الثلاثة والكريم المحتد
 بين الأنام فضائل لم تجحد
 ومودة فليرغم المعتدي

٣٢- في بقية المصادر «... في الغار أشعد...»

٣٣، ٣٤- غير موجودين في بقية المصادر.

٣٥- في بقية المصادر «... ثاني أبي بكر...»

وفيها عدا المختصر والمنهج الأحمد «... الزاهد».

٣٦- في بقية المصادر «... سند الشريعة...»

٣٧- في بقية المصادر «... فقلت: مجاوباً...».

٣٩- في بقية المصادر عدا عقيدة المسلمين «ذو النورين».

على أنه نائب فاعل لـ «دعي» وأما نصبها فعلى أنها المفعول الثاني لـ «دعي».

٤٠- بقية المصادر «... فقلت: مجاوباً...».

٤١- في المختصر والمنهج الأحمد «... وطئ الثرى...» وفيها وفي بقية المصادر «... بعد الثلاثة عند كل موحد».

٤٣- ابن هند: هو معاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنهم-، نسبة المصنف إلى أمه هند رضي الله عنها.

= وفي المختصر والمنهج الأحمد «... فليرغم مفتدي».

- ٤٤ - ذاك الأمين المجتبي لكتابة الـ
٤٥ - فعليهم وعلى الصحابة كلهم
٤٦ - إني لأرجو أن أفوز بحبهم
٤٧ - ولعم سيدنا النبي مناقب
٤٨ - أعني أبا الفضل الذي استسقى به
٤٩ - ذاك الهام أبو الخلائف كلهم
٥٠ - صلى الإله عليه ما هبت صبا
٥١ - وأدام دولتهم علينا سرمدًا
٥٢ - قالوا: أبان الكلوداني الهدى
- سوحى المنزل ذو الثقى والسؤدد
صلوات ربهم تروح وتغندي
وبما اعتقدت من الشريعة في غد
لو عددت لم تنحصر بتعد
عمر أو أن الجذب بين الشهد
نسقا المستظهر بن المقتدي
وعلى بنيه الرآكعين السجد
ما حن في الأسحار كل مغرد
قلت: الذي فوق السماء مؤيدي

٧ - أدب أبي الخطاب وشعره:

قد ذكر كثير ممن ترجم لأبي الخطاب - رحمه الله - مشاركة في الأدب والشعر.

= وفي مجموعة الرد الوافر « فليُرغمن كل معتدي » ولا يستقيم الوزن بزيادة « كل ». وهذا البيت والثلاثة بعده (٤٣ - ٤٦) لا وجود لها في المطبوع من المنتظم، لكنها ثابتة في بقية المصادر.

٤٧ - هذا البيت والأربعة بعده (٤٧ - ٥١) لم أجدها في غير المنتظم.

٤٩ - الخلائف: جمع خليفة، ويقصد بهم الخلفاء العباسيين.

والمستظهر بن المقتدي: هو الخليفة العباسي: أحمد «المستظهر بأمر الله» بن عبد الله «المقتدي بأمر الله». . . . ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٤٨٧ هـ وتوفي سنة ٥١٢ هـ، أي بعد وفاة أبي الخطاب بستين. وهذا يدل على أن أبا الخطاب قد نظم هذا المعتقد في أواخر حياته.

انظر ترجمة المستظهر في سير أعلام النبلاء (٣٩٦/١٩ - ٤١٢) والأعلام (١٥٢/١).

٥٢ - في المختصر والمنهج الأحمد «... للهدى...»

وفي بقية المصادر عدا المختصر «... رفع السماء...»

فقال السمعاني: «... وكان له شعر رقيق». وتابعه ابن الأثير وابن الجوزي^(١).

وقال العماد الأصفهاني: «... من أهل الأدب والظرافة»^(٢).

وقال الحموي: «... الفقيه الحنبلي الكثير العلم والأدب والكتابة، وله شعر جيد»^(٣).

وقال البعلي: «وله الشعر الحسن»^(٤).

وقال ابن الدميّاطي: «وكانت له يد حسنة في الأدب ويقول الشعر اللطيف». وتابعه ابن رجب والعلمي^(٥).

ومما يدل على مشاركة أبي الخطاب رحمه الله في الأدب عمومًا وفي الشعر خصوصًا قراءته وروايته كتاب «الجلس والآنيس»^(٦) في الأدب على شيخه

(١) الأنساب (١٠/٤٦١) وانظر: اللباب (٣/١٠٧) والمنتظم (٩/١٩٠).

(٢) خريدة القصر (٣/٣٩).

(٣) معجم البلدان (٤/٤٧٧).

(٤) المطلع (ص ٤٥٣).

(٥) الذيل المستفاد (٢٢٦) وانظر: الذيل لابن رجب (١/١١٧)، والمنهج الأحمد للعلمي (٢/٢٣٤).

(٦) طبع منه جزآن باسم «الجلس الصالح الكافي والآنيس الناصح الشافي» يقعان في خمسة وخمسين مجلسًا.

دراسة وتحقيق الدكتور/ محمد مرسي الخولي. الناشر: عالم الكتب، محمد أمين دمج. بيروت. لبنان.

وقد ذكر محققه في مقدمته (١/٧١) أنه يشتمل على مائة مجلس ومن الجدير بالذكر أنني لم أجد ذكرًا لأبي الخطاب فيما أورده محققه من أسانيد بعض نسخه (١/١٤٨ - ١٥٣).

ومع أن رواية أبي الخطاب قد تكون فيما فقد سنده منها أو في غيرها لكن ذلك يدل على أنّ أبا الخطاب لم يتفرد بروايته عن شيخه أبي علي الجازري عن مؤلفه المعافي بن زكريّا كما هو ظاهر حكاية ابن رجب لذلك في الذيل (١/١١٧).

ولعلّ الذي تفرد به هو شيخه الجازري عن مؤلفه المعافي بن زكريّا النهرواني. والله أعلم.

أبي علي الجازري^(١) عن مؤلفه المعافي بن زكريّا النَّهرواني^(٢).
وما أورده له مترجموه من قصائد وأبيات شعرية في أغراض متنوعة من نظم
العلوم وقول الحكمة والوعظ والظرافة، بل قد ينزل أحياناً إلى ذكر الهوى
والمحبين رحمه الله.

ومن شعره:

١ - قصيدته في بيان معتقده المتقدمة وتقع في (٥٢ بيتاً)^(٣) وهي منظومة يدل
جودة نظمها وبراعة مطلعها على إحساس شاعر مطبوع حيث يقول في
مطلعها:

دع عنك تذكّار الخليط المنجد والشوق نحو الأنسات الخرد
والنوح في أطلال سعدي إنّما تذكّار سعدي شغل من لم يسعد

٢ - ما أورده ابن الجوزي عنه في المنتظم في دفاعه عن أصحاب الإمام أحمد
نصرة للحق لا تعصّباً حيث يقول:

ومذ كنت من أصحاب أحمد لم أزل أناضل عن أعراضهم وأحامي
وما صدني عن نصره الحق مطمع ولا كنت زنديقاً حليف خصام
ولا خير في دنيا تنال بذلة ولا في حياة أولعت بسقام
ومن جانب الأطماع عزّ وإنما (مذلاته تطلّبه للحطام)^(٤)

(١) انظر ترجمته (ص ٤٩ / ١).

(٢) هو أبو الفرج المعافي بن زكريّا بن يحيى النَّهرواني الجريري - نسبة إلى ابن جرير الطبري لتفقه على
مذهبه وانتصاره له - وكان عالم عصره في الفقه والأدب وغيرهما.

كان مولده سنة ٣٠٣ هـ ووفاته سنة ٣٩٠ هـ وكلاهما بالنهروان.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٦ / ٥٤٤ - ٥٤٧) ومعجم المؤلفين (٢ / ٣٠٢).

(٣) تقدمت (ص ٣٤ / ١ وما بعدها).

(٤) المنتظم (٩ / ١٩٣) وورد شطر البيت الأخير منه هكذا (مذلته في تطلّبه لحطام) ولا يستقيم الوزن
به هكذا.

٣- ومن ذلك قصيدته في معاتبته نفسه التي رواها تلميذه الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السَّلَامِيّ^(١) وقال: إنه بكى حين أنشدناها حتى حنَّ. وأولها:

يَا نَفْسِي لَيْسَ بِلَيْتِي إِلَّا كِ
لَوْلَاكَ كُنْتُ مَهْدَبًا لَوْلَاكَ

وذكر البعلي أنها تقع في خمسة وعشرين بيتاً^(٢) ولم يذكر منها سوى هذا البيت ولم أظفر لها بمصدر آخر ذكر بقيتها. ٤- وقوله

لئن جار الزمان عليّ حتى
فإني قد حمدت له صروفاً
رماي منه من صنكٍ وضيق
عرفت بها عدوي من صديقي^(٣)
٥- وقوله

وقرّبتني حتى تملكّت مهجتي
وأضمرت الهوى في جـوانحي
وصرت حجاباً بين قلبي والعدل
وأجريت دمعي بين سكبٍ ومنهل^(٤)
٦- ومن شعره الظريف ما رواه العماد الأصفهاني بإسناده إلى أبي الخطاب في رؤيته بومة كانت تأوي «إلى القبة الخضراء»^(٥) فأنس بها وقال:

(١) انظر ترجمته الآتية (٥٤/١).

(٢) المطلع (ص ٤٥٣).

(٣) انظر: خريدة القصر (٤٤١/٣) والنجوم الزاهرة (٥/٢١٢).

(٤) انظرها ضمن ستة أبيات في خريدة القصر (٤٣/١/٣).

(٥) القبة الخضراء: قبة عظيمة خضراء اللون كانت فوق (قصر الذهب) قصر أبي جعفر المنصور، ويجوار القصر جامع المنصور الذي كان أبو الخطاب يلازمه وقت التفقه كما قاله العماد الأصفهاني.

وانظر: وصف تلك القبة والقصر والجامع وما آل إليه الحال من عمار إلى خراب فزوال بعد ذلك في حاشية الأثري على خريدة القصر (٣/١/٤٥-٤٦).

يا بومة «القبة الخضراء» قد أنست
 وبأ مثيرة أشواقي برنتها
 زهدت في زخرف الدنيا فأسكنك الـ
 وقد هويتك من بين الطيور فمن
 روعي بروحك إذ يستتبع البوم
 حاشاك ما بك تشويه ولا شوم
 زهد الخراب فمن يذمك مذموم
 يلومني بعد هذا لومه لوم (١)

ولا أدري فقد تكون هذه الأبيات هي الفريدة في مدح البوم والاستئناس بها، ولكنها ظرافة أبي الخطاب - رحمه الله - ولعل ثورة الوجد من مجاور أطلال المجد كانت وراء إنشاد هذه الأبيات حيث أصبحت قصور المجد خراباً ترتادها البوم، وفي ذلك عبرة وأي عبرة.

ولأبي الخطاب - رحمه الله - غير هذا مما يطول ذكره ويستغنى عنه بما ذكرته وخاصة ما يتعلق بذكر الهوى وهجران المحبين، فإنه وإن كان فيه أكبر شاهد لظرافة أبي الخطاب وأدبه إلا أن مكانه كتب الأدب، ولا ينبغي ذكره هنا إلا بعد نقد وتوجيه ما يصح منه لئلا يساء فهمه. ومن أراد فليراجعه في محله (٢).

٨ - شيوخه:

تلقى أبو الخطاب علومه في الحديث والفقه واللغة وغيرها عن كثير من أكابر علماء عصره، نكتفي بذكر من اشتهر أخذه عنهم مرتين على سني وفياتهم مع نبذة مختصرة للتعريف بهم فمنهم:

١ - أبو عبد الله الوئي: وهو الحسين بن محمد بن عبد الواحد الوئي - بفتح الواو بعدها نون مشددة مكسورة - البغدادي، كان إماماً في الفرائض،

(١) خريدة القصر (٣/ ١/ ٤٥).

(٢) انظر أمثله في خريدة القصر (٣/ ١/ ٤١ - ٤٧) وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ١١٧ - ١٢٠).

وله فيها تصانيف ، وعليه قرأ أبو الخطاب علم الفرائض وقد توفي سنة ٤٥٠ هـ وبعضهم أرخ وفاته في التي بعدها^(١).

٢- أبو طالب العُشاري: وهو محمد بن علي بن الفتح العُشاري - بضم العين المهملة بعدها شين معجمة مخففة - وهو من أوائل شيوخ أبي الخطاب الذين سمع منهم الحديث، قال الخطيب: كتبت عنه «وكان ثقة ديناً صالحاً»^(٢) وتعقبه الذهبي بقوله: «ليس بحجة» وقال: شيخ صدوق معروف لكن أدخلوا عليه أشياء فحدثت بسلامة باطن منها حديث موضوع في فضل ليلة عاشوراء، ومنها عقيدة الشافعي^(٣). وقد كان مولده سنة ٣٦٦ هـ ووفاته في جمادى الآخرة سنة ٤٥١ هـ^(٤).

٣- أبو علي الجازري: وهو محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن بن علي ابن بكران، أبو علي، المعروف بالجازري سكن بغداد وحدث بها، قال الخطيب: كتبت عنه وكان صدوقاً وسألته عن مولده فقال في ربيع الأول سنة ٣٧٤ هـ. ومات في شهر ربيع الأول من سنة ٤٥٢ هـ. اهـ^(٥).

(١) انظر ترجمته في: اللباب (٣/٣٧٥) والبداية والنهاية (١٢/٧٩، ٨٥) وسير أعلام النبلاء (١٨/٩٩-١٠٠).

وانظر من مصادر ترجمة أبي الخطاب (المنتظم، والبداية، والذيل والمنهج) في ذكره من شيوخه.
(٢) تاريخ بغداد (٣/١٠٧).

(٣) ميزان الاعتدال (٣/٦٥٦، ٦٥٧).

(٤) انظر مع ما تقدم ترجمته في اللباب (٢/٣٤١) وطبقات الحنابلة (٢/١٩١ - ١٩٢) وسير أعلام النبلاء (١٨/٤٨-٥٠).

ومن مصادر ترجمة أبي الخطاب (الأنساب والمنتظم ومعجم البلدان وغيرها) في ذكره من شيوخه.
(٥) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٢/٢٥٦) وانظر: المنتظم (٨/٢١٧ - ٢١٨) واللباب (١/٢٥١).

وانظر: من مصادر ترجمة أبي الخطاب (الأنساب، وسير أعلام النبلاء والذيل لابن رجب) في ذكره من شيوخه.

وقد روى عنه أبو الخطاب كتاب «الجلس والأيس» لمؤلفه المعافي ابن زكريّا - كما تقدّم في مبحث أدب أبي الخطاب (١).

٤ - أبو محمد الجوهري: وهو الحسن بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله الجوهري، كان ثقة أميناً مسنداً محدّثاً مشهوراً، سمع منه أبو الخطاب وخلق كثير، وكان مولده سنة ٣٦٣ هـ ووفاته سنة ٤٥٤ هـ (٢).

٥ - أبو علي الحسن بن غالب بن علي المقرئ البغدادي المعروف بابن المبارك. قال الخطيب: كتبنا عنه، وكان له سمعة وهيبة وظاهر وصلاح، وكان يقرئ القرآن بحروف خرق بها الإجماع وأدعى فيها رواية عن بعض الأئمة المتقدمين وجعل لها أسانيد باطلة مستحيلة فأنكر عليه أهل العلم ذلك إلى أن استتيب منها... «وقد كان مولده سنة ٣٦٦ هـ/ ووفاته العاشر من رمضان سنة ٤٥٨ هـ» (٣).

٦ - القاضي أبو يعلى الكبير: إمام الحنابلة في زمانه وشيخ أبي الخطاب الذي كان له من التأثير في حياته العلمية ما ليس لغيره وكان لا يذكره إلا بلقب «شيخنا» كان مولده سنة ٣٨٠ هـ ووفاته في التاسع عشر من رمضان سنة ٤٥٨ هـ.

وقد تكرّر ذكره في الانتصار (٤).

(١) (ص ١/١٤٩).

(٢) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٧/٣٩٣) والمنتظم (٨/٢٢٧) وسير أعلام النبلاء (١٨/٦٨ - ٧١).

ومصادر ترجمة أبي الخطاب فقد ورد ذكره من شيوخه في أكثرها.

(٣) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٧/٤٠٠) والمنتظم (٨/٢٤٢ - ٢٤٣) ولسان الميزان (٢/٢٤٣) ومن مصادر ترجمة أبي الخطاب الذليل المستفاد والذليل لابن رجب) في ذكره من شيوخه وكذلك المنتظم (٧/٢٠٠).

(٤) انظر ترجمته في قسم التحقيق.

٧- أبو جعفر محمد بن المسلمة: وهو أبو جعفر محمد بن أحمد بن عمر ابن الحسن المشهور (بابن المسلمة) - بضم الميم وسكون السين المهملة وكسر اللام المخففة - كان مسند وقته كثير السماع ثقة نبيلًا صالحًا حدث عنه الكبار.

وكان مولده في ربيع الأول سنة ٣٧٥هـ ووفاته في تاسع جمادى الأولى سنة ٤٦٥هـ^(١).

٨- أبو الحسين بن المهدي^(٢): وهو - فيما يظهر لي - أبو الحسين محمد بن علي بن محمد بن عبيد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله، الخطيب العابد المحدث الحجّة مسند العراق وشيخ بني هاشم في زمانه وكان يعرف بـ (ابن الغريق) مولده في أول ذي القعدة سنة ٣٧٠هـ ووفاته في آخرها ٤٦٥هـ ودفنه في غرة ذي الحجة^(٣).

(١) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١/٣٥٦ - ٣٥٧) والمنتظم (٨/٢٨٢) واللباب (٣/٢١١) وسير أعلام النبلاء (١٨/٢١٣ - ٢١٥).

ومن مصادر ترجمة أبي الخطاب (المنتظم والذيل المستفاد والذيل لابن رجب) في ذكره من شيوخه. (٢) كذا في الذيل لابن رجب في تعداد شيوخ أبي الخطاب (١/١١٦) وقد ذهب الدكتور مفيد أبو عمشة في مقدمته للتمهيد (١/٤٣) أن المراد به: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله أبو الحسن الهاشمي»

وتابعه الزميلان سليمان العميري في مقدمته للطهارة من كتاب الانتصار (ص ٣٦) وعبد العزيز البعيمي في مقدمته للزكاة منه (ص ٣٧) وما اخترته هو الأقرب لأمر منها:

١ - اتفاق كنيته مع ما ذكره ابن رجب، وذلك أبو الحسن (أي بدون الياء قبل النون) كما ذكره وكما هو في أكثر مصادر ترجمته ومنها ما أحالوا عليها.

٢ - شهرة ما ذكرته على من ذكره، والأعلام يختصر التعريف بها حين تشتهر.

٣ - أن العلماء كانوا يرحلون إليه لطلب علو الإسناد فحريّ بأي الخطاب أن يكون من تلاميذه وهو المقيم معه ببغداد. والله أعلم.

(٣) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٣/١٠٨ - ١٠٩) والمنتظم (٨/٢٨٣) وسير أعلام النبلاء (١٨/٢٤١ - ٢٤٤).

٩ - أبو حامد الغزالي : محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي صاحب التصانيف المشهورة في الفقه وأصوله وغيرها وقد أخذ عنه الخطاب وابن عقيل لما قدم بغداد قاله ابن الجوزي^(١) . وكان مولده سنة ٤٥٠ هـ ووفاته سنة ٥٠٥ هـ .

١٠ - أبو الفضل ابن الكوفي : كذا ذكره ابن رجب في الذيل^(٢) ممن سمع منه أبو الخطاب ، ولم أظفر بما يبيّن المراد به .

٩ - تلاميذ أبي الخطاب:

في المبحث السابق رأينا أبا الخطاب تلميذاً بين يدي شيوخه وسنراه في هذا المبحث شيخاً وبين يديه تلاميذه فاستفاد وأفاد وحمل الأمانة وأداها . وإليك بعض من حفظتهم لنا كتب التراجم من تلاميذ أبي الخطاب مرتبين حسب تقدم وفياتهم مع التعريف بهم :

١ - أبو سعد : عبد الوهاب بن حمزة بن عمر الفقيه الحنبلي ، المعدّل تفقه على أبي الخطاب وأفتى وبرع في الفقه ، ومولده سنة ٤٥٧ هـ ، ووفاته ثالث شعبان سنة ٥١٥ هـ^(٣) .

(١) انظر: المنتظم (١٦٩/٩) وانظر ترجمته في: المنتظم (١٦٨/٩ - ١٧٠) وسير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٢ - ٣٤٦) ومعجم المؤلفين (١١/٢٦٦ - ٢٦٩) .

(٢) (١/١١٦) ويبدو لي أنه وقع فيه تصحيف وأن صوابه «أبو الفضل المالكي» وهو محمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن عمرو بن البرار، انتهت إليه رئاسة الفتوى في مذهب مالك ببغداد وكان مقرئاً محدثاً أصولياً ديناً أميناً مولده سنة ٣٧٢ هـ ووفاته في المحرم سنة ٤٥٢ هـ وعليه فيكون من قدماء شيوخ أبي الخطاب رحمه الله . والله أعلم .

انظر: ترجمته في تاريخ بغداد (٢/٣٣٩ - ٣٤٠) والمنتظم (٨/٢١٨) وسير أعلام النبلاء (١٨/٧٣ - ٧٥) .

(٣) انظر ترجمته في: المنتظم (٩/٢٢٩) وذيل تاريخ بغداد لابن النجار (١/٣٣١ - ٣٣٣) وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/١٧٢) .

- ٢ - أبو الحسن : علي بن الحسن بن علي بن أحمد الثعلبي (الدولعي) (١)
الواعظ ، تفقه على أبي الخطاب وسمع منه الحديث وكانت وفاته ليلة
الجمعة خامس شوال سنة ٥٢٦هـ (٢) .
- ٣ - أبو بكر: أحمد بن محمد بن أحمد الدينوري البغدادي الحنبلي تفقه على أبي
الخطاب وبرع في الفقه وأفتى ودرّس وناظر وصنّف كتابه «التحقيق في
مسائل التعليق» وكان أحد أئمة المذهب وأعيانه وكانت وفاته في غرة
جمادى الأولى سنة ٥٣٢هـ (٣) .
- ٤ - ابنه أبو جعفر: محمد بن محفوظ ، كان مولده سنة ٥٠٠هـ ووفاته في
السابع عشر أو الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٣٣هـ ، وتقدم في
مبحث أسرته (٤) .
- ٥ - ابنه أبو الفرج : أحمد بن محفوظ ، قيل إنه سمع من أبيه وأنه هو المتوفى
سنة ٥٣٣هـ كما تقدم في مبحث أسرته (٥) .
- ٦ - أبو الفتح : عبد الله بن هبة الله بن أحمد بن محمد السامري الفقيه الحنبلي ،
تفقه على أبي الخطاب كان مولده سنة ٤٨٥هـ ووفاته ثالث عشر من
المحرم سنة ٥٤٥هـ (٦) .

- (١) كذا في الذيل لابن النجار ، وفي بقية مصادر ترجمته الآتية «الدواحي» .
(٢) انظر : ترجمته في : الذيل لابن النجار (٣/٣٠٢ - ٣٠٣) والذيل لابن رجب (١/١٧٨) والمنهج
الأحمد (٢/٢٧٦) وشذرات الذهب (٤/٧٩) .
(٣) انظر ترجمته في : المنتظم (١٠/٧٣) والبداية والنهاية (١٢/٢١٣) والذيل لابن رجب (١/١٩٠ -
١٩١) وشذرات الذهب (٤/٩٨ - ٩٩) .
(٤) أي (ص ٢٤/١) .
(٥) أي (ص ٢٤/١) وانظر التكملة للمنزدي (١/٧٥) .
(٦) انظر : ترجمته في : الذيل لابن رجب (١/٢١٩) والمنهج الأحمد (٢/٣٠٤) وشذرات الذهب
(٤/١٤٣) .

٧- أبو محمد: عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد الحلواني الفقيه الحنبلي،
تفقه على أبيه وأبي الخطاب وبرع في الفقه وأصوله وصنف فيهما وفي
التفسير، وكان مولده سنة ٤٩٠هـ ووفاته نهاية ربيع الأول سنة
٥٤٦هـ (١).

٨- أبو علي بن شاتيل: أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن نجا الأزجي الحنبلي
تفقه على أبي الخطاب وولي القضاء وكانت وفاته سابع عشر شعبان سنة
٥٤٨هـ (٢).

٩- أبو المعمر: المبارك بن أحمد بن عبد العزيز بن الحسن الخزرجي الأنصاري
المحدث الحافظ، كان سريع القراءة معتنياً بالرواية وكان مولده سنة
٤٧٥هـ ووفاته في رمضان سنة ٥٤٩هـ (٣).

١٠- أبو الفضل: محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر البغدادي
السلامي - بفتح السين المهملة وتخفيف اللام - الشافعي ثم الحنبلي
الحافظ الأديب اللغوي روى عن أبي الخطاب وكثير من محدثي عصره،
وكان مولده سنة ٤٦٧هـ ووفاته ثامن عشر من شعبان سنة ٥٥٠هـ (٤).

(١) انظر ترجمته في: المنتظم (١٠/١٤٦) والذيل لابن رجب (١/٢٢١) والمنهج الأحمد (٢/٣٠٥ -
٣٠٦) وشذرات الذهب (٤/١٤٤).

(٢) انظر ترجمته في: الذيل لابن رجب (١/٢٢٣ - ٢٢٤) والمنهج الأحمد (٢/٢٠٩) وشذرات الذهب
(٤/١٤٧).

(٣) انظر: المنتظم (١٠/١٦٠) ومشيخة ابن الجوزي (١٧٣ - ١٧٥)، وسير أعلام النبلاء
(٢٠/٢٦٠) وشذرات الذهب (٤/٢٧، ١٥٤) ومعجم المؤلفين (٨/١٧٠).

ومن مصادر ترجمة أبي الخطاب (خريدة القصر وسير أعلام النبلاء) في ذكره من تلاميذه.
(٤) انظر: المنتظم (٩/١٩٠، ١٠/١٦٢ - ١٦٣) وسير أعلام النبلاء (١٩/٣٤٨، ٢٠/٢٦٥ -
٢٧١) والذيل لابن رجب (١/١١٧، ٢٢٥ - ٢٢٩) واللباب (٢/١٦١).

١١ - أبو بكر: محمد بن خذاداذ بن سلامة بن خذاداذ العراقي المأموني المباردي - بفتح الميم والموحدة وكسر الراء - الحدّاد الحنبلي كان فقيهاً مناظراً أصولياً أديباً، تفقه على أبي الخطاب وعلّق عنه مسائل الخلاف كان وفاته مستهل جمادى الآخرة سنة ٥٥٢ هـ (١).

١٢ - أبو العباس: أحمد بن مهلهل بن عبد الله بن أحمد البرداني - بإسكان الراء - الأزجي المقرئ الزاهد الضرير، قرأ طرفاً صالحاً من الفقه على أبي الخطاب ثم على أبي بكر الدّيّورِي، وكانت وفاته غرة جمادى الأولى سنة ٥٥٤ هـ (٢).

١٣ - أبو القاسم: أحمد بن معالي - ويسمى عبد الله أيضاً (٣) - ابن بركة الحربي، الفقيه الواعظ، المعروف بابن ناجية، تفقه على أبي الخطاب وبرع في الفقه والنظر وانتقل إلى مذهب الشافعي ثم عاد حنبلياً، وروى السمعاني عنه قوله «أنا اليوم متبع للدليل ما أقلد أحداً» (٤) وكانت وفاته في الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ٥٥٤ هـ وله تسع وسبعون سنة (٥).

(١) انظر ترجمته في: اللباب (٣/ ١٥٩ - المياردى) والذيل لابن رجب (١/ ٢٣١ - ٢٣٢) وشذرات الذهب (٤/ ١٦٤).

وخذاداذ: بقاء وذال معجمتين ثم ألف فذال مهملة فألف ثانية فذال معجمة .
وقيده ابن نقطة بأنه «بدال مهملة بين ذالين معجمتين» ولعله ترك ذكر الألفين لعدم الاشتباه أو لتولدهما عن حركة الفتحة بعد إشباعها (راجع الذيل والشذرات).

(٢) انظر ترجمته في: الذيل لابن رجب (١/ ٢٣٦ - ٢٣٧) والمنهج الأحمد (٢/ ٣١٦ - ١٣١٧) وشذرات الذهب (٤/ ١٧٠ - ١٧١). ووقع اسم جده في المنهج والشذرات (عبيد الله) مصغراً.

(٣) كذا في الذيل والمنهج والشذرات والظاهر أنه اسم آخر لأبيه (معالي) وفي السير «أحمد بن أبي المعالي عبد الله» أي كنية لأبيه ثم اسمه .

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٣١٥).

(٥) انظر ترجمته في: المنتظم (١٠/ ١٩٠) وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ٣١٥) والبداية والنهاية

(١٢/ ٢٤٠) والذيل لابن رجب (١/ ٢٣٢ - ٢٣٣) والمنهج الأحمد (٢/ ٣١٦) وشذرات الذهب

(٤/ ١٧٠).

١٤ - أبو حكيم: إبراهيم بن دينار بن أحمد بن الحسين النهرواني الرزاز الحنبلي، سمع الحديث من أبي الخطاب وتفقه على أبي سعد بن حمزة^(١) تلميذ أبي الخطاب، وبرع في المذهب والخلاف والفرائض وأفتى وناظر وصنف ومن ذلك شرحه الهداية لأبي الخطاب وصل فيها إلى تسع مجلدات ولم يكمله، وكان مولده سنة ٤٨٠ هـ ووفاته في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ٥٥٦ هـ رحمه الله^(٢).

١٥ - أبو المعمر: عبد الله بن سعد بن الهاطر البغدادي الأزجي العطار الوزان الإمام في القراءة، كان اسمه خزيفة - بالخاء المعجمة والزاي^(٣) - تفقه على أبي الخطاب وكان مولده سنة ٤٨٠ هـ ووفاته في ثامن عشر من رجب سنة ٥٦٠ هـ^(٤).

١٦ - أبو محمد: عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله بن جنكي دوست الجيلي^(٥) البغدادي الزاهد الواعظ الفقيه الحنبلي تفقه على أبي سعد المخرمي وأبي الخطاب وغيرهما، ودرّس ووعظ وأفتى وصنّف واشتهر بكثرة كراماته، وغالى بعضهم في ذكرها فنسب إليه ما لا يليق به ولا

(١) تقدم (٥٢/١).

(٢) انظر ترجمته في: المنتظم (٢٠١/١٠) وسير أعلام النبلاء (٣٩٦/٢٠) والذيل لابن رجب (٢٣٩/١ - ٢٤١).

(٣) كذا ضبطه ابن نقطة كما في تبصير المتببه (٤٢١/١) وقد تصحّف في كثير من مصادره إلى «خزيفة» بالخاء المهملة والذال المعجمة وفي بعضها «خزيفة» بالخاء المعجمة والراء.

(٤) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤٣٨/٢٠ - ٤٣٩) والذيل لابن رجب (٢٨٩/١ - ٢٩٠) وشذرات الذهب (١٨٩/٤).

(٥) نسبة إلى «جيل» بلاد متفرقة وراء طبرستان يقال لها «كيل وكيلان» فعربت ونسب إليها «جيلي»، و«جيلاني».

يصح عنه، وكان مولده سنة ٤٧١ هـ ووفاته في ثامن أو تاسع أو عاشر ربيع الآخر سنة ٥٦١ هـ^(١).

١٧ - أبو طالب: المبارك بن علي بن محمد بن علي بن خضير البغدادي الصيرفي البزاز، كان محدثاً صدوقاً كثير السماع، مولده سنة ٤٨٣ هـ ووفاته ثالث عشر ذي الحجة سنة ٥٦٢ هـ^(٢).

١٨ - أبو الحسن، سعد الله بن نصر بن سعيد المعروف بـ (ابن الدجاجي) وبـ (ابن الحيواني) الفقيه الحنبلي الواعظ المقرئ الصوفي الأديب، سمع من أبي الخطاب وتفقه عليه وبرع في الفقه. وقال ابن رجب: روي عنه كتاب الهداية وقصيدته في السنة وغيرها وكان مولده سنة ٤٨٢ هـ ووفاته في الثاني عشر من شعبان سنة ٥٦٤ هـ^(٣).

١٩ - أبو عمرو، عثمان بن محمد بن أحمد بن محمد النجار، سمع من أبي الخطاب وغيره، وحدت باليسير وكانت وفاته ثامن عشر من المحرم سنة ٥٦٥ هـ^(٤).

٢٠ - أبو عبد الله، محمد بن خمارتكين بن عبد الله التبريزي، تفقه على مذهب الشافعي، وسمع الحديث من أبي الخطاب والمبارك الغسال

(١) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٠/٤٣٩ - ٤٥١) والذيل لابن رجب (١/٢٩٠ - ٣١٠) وشذرات الذهب (٤/١٩٨ - ٢٠٢) والأعلام (٤/١٧١) وفي ذكر نسبة اختلاف والمعتمد هنا من الذيل لابن رجب.

(٢) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٠/٤٨٧ - ٤٨٩)، وشذرات الذهب (٤/٢٠٦) ومن مصادر ترجمة أبي الخطاب (الأنساب والسير والذيل لابن رجب) في ذكره من تلاميذه.

(٣) انظر ترجمته في: المنتظم (١٠/٢٢٨) والذيل لابن رجب (١/٣٠٢ - ٣٠٥) والبداية والنهاية (١٢/٢٥٨ - ٢٥٩) وشذرات الذهب (٤/٢١٢ - ٢١٣).

وأرخ مولده في المنتظم والبداية بسنة ثمانين وأربعمائة (٤٨٠ هـ).

(٤) انظر ترجمته في: ذيل تاريخ بغداد لابن النجار (٢/٢٢٥ - ٢٢٦).

(تلميذ أبي الخطاب) وغيرهما .

- وكانت وفاته سنة ٥٦٦ هـ أو بعدها بسنة ، وقد تيّف على الثمانين (١) .
- ٢١- أبو منصور، جعفر بن عبد الله بن (قاضي القضاة أبي عبد الله) محمد ابن علي بن محمد الدّامغاني البغدادي الحنفي ، سمع الحديث الكثير من أبي الخطاب وغيره ، وكان صدوقا مكثرا ، وكان مولده سنة ٤٩٠ هـ ووفاته في جمادى الآخرة سنة ٥٦٨ هـ (٢) .
- ٢٢- أبو حفص ، عمر بن هديّة (بفتح أوله وكسر الدال المهملة بعدها مثناة تحتية مشددة) ابن سلامة ، الفقيه الصواف السمسار البزاز، روى عن أبي الخطاب ، ووثقه ابن الجوزي وكان مولده سنة ٤٨٢ هـ ووفاته في السادس عشر من ربيع الآخر سنة ٥٧١ هـ (٣) .
- ٢٣- محمد بن الحسن بن علي بن هلال بن همصا بن نافع العجلي ، سمع من أبي الخطاب وغيره وكان مولده سنة ٤٩٢ هـ ووفاته سنة ٥٧١ هـ (٤) .
- ٢٤- أبو عبد الله ، مسلم بن ثابت بن زيد بن القاسم بن أحمد النخاس - بالحاء المعجمة - البزاز البغدادي الفقيه الحنبلي المعروف بـ «ابن جوالق» -

-
- (١) انظر ترجمته في: المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيشي للذهبي (ص ٢٦) .
- (٢) انظر ترجمته في: المختصر المحتاج إليه (ص ١٥٥) وسير أعلام النبلاء (٢٠/٤٩٤ - ٤٩٥) والجواهر المضية (٢/١٥ - ١٦) .
- (٣) انظر ترجمته في: مشيخة ابن الجوزي (ص ١٨١ - ١٨٢) والمختصر المحتاج إليه (ص ٢٩٤) وفيه ذكره من تلاميذ أبي الخطاب كما في ترجمة أبي الخطاب في سير أعلام النبلاء (١٩/٣٤٩) .
- وانظر لضبط اسم أبيه: تبصير المنتبه (٤/١٤٥٠) لكن وقع اسمه فيها «عمرو» بزيادة الواو في آخره ، ووفاته سنة ٥٧٧ هـ وكل ذلك في بعض نسخه كما نبّه عليه محققه ، وبعضها على الصواب كما هنا .
- (٤) انظر ترجمته في: المختصر المحتاج إليه (ص ٢٠) .

بضم الجيم - تفقه على أبي الخطاب وناظر وكان صحيح السماع مولده سنة ٤٩٢ هـ ووفاته في عشرين ذي الحجة سنة ٥٧٢ هـ^(١).

٢٥ - أبو الفتح ، أحمد بن أبي الوفاء عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الصمد ابن محمد بن الصائغ البغدادي الفقيه الحنبلي ، نزيل حرّان ومفتيها والمدرّس بها حتى وفاته فيها ، لزم أبا الخطاب وخدمه حتى كان يعرف بـغلام أبي الخطاب ، تفقّه عليه وسمع منه وروى عنه وكان مولده ببغداد سنة ٤٩٠ هـ وقيل سنة ٤٧٠ هـ ووفاته سنة ٥٧٥ هـ أو في التي بعدها^(٢).

٢٦ - أبو طاهر، أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني السّلفي^(٣) الإمام المحدث المسند الحافظ المعمر، روى عن أبي الخطاب وأثنى عليه ووثقه^(٤) واختلف في تاريخ ميلاده واختار الذهبي أنه في سنة ٤٧٤ هـ أو في التي بعدها وتوفي في ربيع الآخر سنة ٥٧٦ هـ وقد جاوز المائة رحمه الله^(٥).

(١) انظر: المختصر المحتاج إليه (ص ٣٦٠) وذيل طبقات الحنابلة (١/٣٣٧) وشذرات الذهب (٤/٢٤٤) وتبصير المنتبه (٤/١٤٣٤).

(٢) انظر: ترجمته في: المختصر المحتاج إليه (ص ١٣٠) والذيل لابن رجب (١/٣٤٧-٣٤٨) وشذرات الذهب (٤/٢٤٩).

(٣) بكسر السين المهملة وفتح اللام، نسبة إلى جده الملقب «سلفه» (مصادر ترجمته).

(٤) كما تقدم (ص ١١).

(٥) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١/١٠٥-١٠٧) وسير أعلام النبلاء (١٩/٣٤٨، ٣٤٩) ترجمة

شيخه أبي الخطاب، وترجمته ٢١/٥ - ٣٩ وفيها قصيدة له طويلة في مدح أهل الحديث وبيان معتقده) وشذرات الذهب (٤/٢٥٥).

٢٧ - أبو الفضل ، وفاء بن أسعد بن النفيس بن البهي ، التركي الأصل
البغدادي الخباز ، سمع من أبي الخطاب وغيره وكان شيخاً صالحاً مولده
سنة ٥٠٠ هـ ووفاته في ربيع الآخر سنة ٥٧٨ هـ (١).

٢٨ - أبو المحاسن : هبة الله بن نصر بن الحسين بن حامد الحرّاني الحنبلي ،
تفقه ببغداد ، وقرأ على ابن الزاغواني وأبي الخطاب وغيرهما وكانت وفاته
في حدود سنة ٥٨٠ هـ (٢).

٢٩ - أبو الفتح ابن شاتيل ، عبيد الله بن عبد الله بن محمد بن نجا بن شاتيل
البغدادي الدبّاس ، المسند المعمر ، سمع من أبي الخطاب وروى عنه
ومولده سنة ٤٩١ هـ ووفاته في العشرين من رجب سنة ٥٨١ هـ (٣).

٣٠ - أبو الفرج ابن كليب : عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن صدقة
ابن الخضر بن كليب ، الحرّاني الأصل ، البغدادي المولد والدار والوفاة ،
الحنبلي التاجر ، طلب الحديث مبكراً ، وعمّر فأنتهى إليه علو الإسناد في
عصره ، وقد روى عن أبي الخطاب بالإجازة ، كان مولده في صفر سنة
٥٠٠ هـ ووفاته في السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ٥٩٦ هـ (٤).

(١) انظر ترجمته في : مشيخة النّعال (٥٩ - ٦٠) والمختصر المحتاج إليه (ص ٣٧٠ - ٣٧١) والعبر
(٧٧/٣).

(٢) انظر : إيضاح المكنون (٥١٦/٢) وهديّة العارفين (٥٠٦/٢) ، وترجمة والده نصر بن الحسين في
الذيل لابن رجب (٢٠٧/١) والمنهج الأحمد (٢٧١/٢).

(٣) انظر ترجمته في : الذيل لابن النجار (٦٦/٢ - ٦٨) والمختصر المحتاج إليه (٢٢٩ - ٢٣٠) وسير
أعلام النبلاء (١١٧/٢١ - ١١٨) ومشيخة ابن الجوزي (١٨٢ - ١٨٣) وفيه ذكره من تلاميذ أبي
الخطاب كما في ترجمة أبي الخطاب في الذيل لابن رجب (١١٧/١).

(٤) انظر ترجمته في : الذيل لابن النجار (١٦٦/١ - ١٧٢) والتكملة للمنذري (٣٤٨/١ - ٣٤٩)
وسير أعلام النبلاء (٢٥٨/٢١ - ٢٦٠) وترجمة أبي الخطاب (٣٥٠/١٩).

- ٣١ - أبو الكرم، المبارك بن مسعود بن عبد الملك بن خميس البغدادي الغسال، روى عن أبي الخطاب. ولم أظفر له بترجمة^(١).
- ٣٢ - أبو بكر: محمد بن محمد بن عن أبي الخطاب^(٢) ولم أجد له ترجمة.

١٠- آثاره العلميّة:

درّس أبو الخطاب وأفتى، وصنّف فانتفع الناس بعلمه حيّاً وميتاً. قال فيه ابن رجب رحمه الله: «صنّف كتباً حسناً في المذهب والأصول والخلاف، وانتفع الناس بها بحسن قصده»^(٣). وهذه الآثار العلمية منها المطبوع ومنها المخطوط، وإليك بيان ما وصل إلينا خبره منها:

- ١ - التمهيد في أصول الفقه: مطبوع في أربع مجلدات^(٤) وهو كتاب جليل شامل لأبواب مسائل أصول الفقه، وهو أشبه بكتاب العدة لشيخه أبي يعلى، وطريقته في عرض مسأله أشبه بطريقته في كتابه - الانتصار -

(١) انظر من ترجمة أبي الخطاب في (الأنساب، وخريدة القصر، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد) وسير أعلام النبلاء في ذكره من تلاميذه وله ذكر في: تبصير المنتبه (٣/١٠٠٨) وتاج العروس (٨/٤٦٦ غسل).

وتقدم في ترجمة محمد بن محمد بن خمارتكين (ص ٥٥) أنه سمع الحديث من أبي الخطاب والمبارك الغسال، كما في المختصر المحتاج إليه (ص ٢٦).

(٢) كما في ترجمة محمد بن محمد بن هارون المعروف (بابن الكال) المتوفى سنة ٥٩٧ هـ في إسناده حديثه. انظر: الجامع المختصر لابن الساعي (٩/٧٢-٧٣) والمختصر المحتاج إليه (ص ٧٠) وكذلك طبعة المجمع العلمي العراقي له (١/١٢٤ - وحاشيته).

(٣) الذيل لابن رجب (١/١١٦).

(٤) بتحقيق الدكتورين الفاضلين: مفيد محمد أبو عمشة، ومحمد بن علي بن إبراهيم. ونشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

حيث يذكر في رأس المسألة رأيه ورأي مخالفه ويستدل لكل ويناقش ويرجح .

٢ - الهداية في الفقه : طبع في جزئين^(١) وهو كتاب مختصر في المذهب شامل لمسائل أبواب الفقه ، يذكر فيه المسألة والروايات فيها عن الإمام أحمد فتارة يرسلها وتارة يبيِّن اختياره فيها^(٢) .
ولعلماء الحنابلة اهتمام بهذا فمنهم من شرحه ومنهم من اختصره .

وهمن شرحه:

أ - تلميذ المصنف أبو حكيم ، إبراهيم بن دينار النهرواني . كتب منه تسع مجلدات ومات ولم يكمله قاله ابن رجب^(٣) .

ب - القاضي وجيه الدين أبو المعالي ، أسعد (ويسمى محمداً) بن المنجأ ابن بركات المؤمل التَّنُوخي المعري المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ، وسماه «النهاية في شرح الهداية» قال ابن رجب في بضعة عشر مجلداً^(٤) .

ج - محب الدين أبو البقاء ، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكْبَرِي المتوفى سنة ٦١٦ هـ .

ذكر شرحه الذهبي وابن رجب ولم يذكر عدد أجزائه^(٥) .

(١) في مطابع القصيم بتحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري والشيخ صالح السليمان العمري ، وراجعته : الأستاذ ناصر السليمان العمري .

(٢) وانظر: المدخل لابن بدران (ص ٤٣٢) .

(٣) ذيل الطبقات (١/ ٢٤٠) وكذلك المنهج الأحمدي (٢/ ٣٢٣) ، وشذرات الذهب (٤/ ١٧٦) .

(٤) ذيل الطبقات (٢/ ٤٩) وكذلك العبر (٣/ ١٤١) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٣٧) وقال في عدة مجلدات) وكشف الظنون (٢/ ٢٠٣١) وقال بلغ نصفه إلى عشر مجلدات ومعجم المؤلفين (٢/ ٢٤٩) وسماه : الكفاية في شرح الهداية) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٩٣) وذيل الطبقات (٢/ ١١١) .

د- فخر الدين ابن أبي القاسم، محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر ابن علي بن عبد الله ابن تيمية الحرّاني المتوفى سنة ٦٢٢ هـ ذكره ابن رجب وقال: لم يتمّه (١).

هـ- مجد الدين أبو البركات ابن تيمية، عبد السلام بن عبد الله بن الخضر الحرّاني المتوفى سنة ٦٥٢ هـ، وهو ابن أخ الذي قبله، وجد شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام واسم شرحه «منتهى الغاية في شرح الهداية» بيّض منه أربع مجلدات كبار إلى الحج والباقي لم يبيّضه قاله ابن رجب (٢).

ومن اقتصرها:

أ- العلامة ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي صاحب المغني المتوفى سنة ٦٢٠ هـ في مجلد (٣).

ب- وأبو الفضل، تقي الدين، عبد المؤمن بن عبد الحق بن عبد الله القطيعي الأصل البغدادي المتوفى سنة ٧٣٩ هـ، وسماه «إدراك الغاية في اختصار الهداية» في مجلد لطيف ثم شرحه في أربع مجلدات قاله ابن رجب (٤).

(١) ذيل الطبقات (١٥٣/٢).

(٢) ذيل الطبقات (٢٥٢/٢) وكذلك شذرات الذهب (٢٥٨/٥)، والمدخل لابن بدران (ص ٤٣٢) ومعجم المؤلفين (٢٢٧/٥).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١٦٨/٢٢) وذيل الطبقات (١٣٩/٢) وشذرات الذهب (٩١/٥) وترجمة ابن بدران للموفق في مقدمة المغني (٨/١).

(٤) ذيل الطبقات (٤٢٩/٢) وكذلك شذرات الذهب (١٢١/٦)، وهدية العارفين (١/٦٣١) وسماه العناية في اختصار الهداية.

٣- الانتصار في المسائل الكبار: وهو كتابنا هذا - ويسمى أيضاً الخلاف الكبير، وهو أجلُّ كتب أبي الخطاب وأشهرها، وسيأتي الحديث عنه في فصل آتٍ مستقل به إن شاء الله تعالى^(١).

٤- رءوس المسائل، ويسمى أيضاً: الخلاف الصغير: ذكره ابن رجب وقال: «ونقل عن صاحب المحرر أبي البركات ابن تيمية أنه كان يشير إلى ما ذكره أبو الخطاب في رءوس المسائل هو ظاهر المذهب^(٢)».

ومن ذكره أيضاً البعلي والذهبي والعليمي والمرداوي وابن بدران والبغدادى والزركلى وعمر رضا كحالة^(٣).

٥- العبادات الخمس: وهو كتاب مختصر جداً على مذهب الإمام أحمد يبحث في أحكام العبادات الخمس وهي: الطهارة، والصلاة، والزكاة والصوم، والحج.

ذكره ابن رجب والعليمي وابن مفلح والمرداوي والبغدادى وغيرهم^(٤). وقد شرحه: أبو عبد الله، محمد بن أبي المكارم الفضل بن بختيار ابن أبي نصر اليعقوبي الحجّة، المتوفى سنة ٦١٧ هـ^(٥).

(١) انظر: (ص ٦٩ وما بعدها).

(٢) ذيل الطبقات (١١٦/١) وقد حكاه شيخ الإسلام عن جده أبي البركات (١٨/١ - الإنصاف).

(٣) انظر: المطلع (ص ٤٥٣) وسير أعلام النبلاء (٣٤٩/١٩) والمنهج الأحمدي (٢٣٤/٢) والإنصاف

(١٤/١) والمدخل (ص ٤١٩) وإيضاح المكنون (٥٤٧/١) وهديّة العارفين (٦/٢) والأعلام

(١٧٨/٦) ومعجم المؤلفين (١٨٨/٨).

(٤) انظر: ذيل الطبقات (١١٦/١) والمنهج الأحمدي (٢٣٤/٢)، والفروع (٢٩٧/١) والإنصاف

(١٤/١) وهديّة العارفين (٦/٢).

(٥) انظر: ذيل الطبقات (١٢٣/٢) وشذرات الذهب (٧٧/٥)، ومعجم المؤلفين (١٢٨/١١).

وقد حُقِّق الشرح في رسالة للمهاجستير تحقيقاً لم يف بالغرض.

- ٦ - مناسك الحج : ذكره ابن رجب والعلمي^(١) .
- ٧ - التهذيب في الفرائض : ذكره اليعلى وابن رجب والعلمي والبغدادي وغيرهم^(٢) .
- ٨ - قصيدته في بيان معتقده وتقدمت في مبحث عقيدته ، وعدد أبياتها (٥٢ بيتاً)^(٣) .
- وله أيضاً بعض القصائد والأبيات الشعرية التي تقدّمت لها في مبحث أدبه وشعره^(٤) .
- ٩ - بعض الفتاوى : قال ابن رجب : وقفت على فتاوى أرسلت إلى أبي الخطاب - رحمه الله - من الرحبة ، فأفتى فيها في الشهر الذي توفي فيه في جمادى الآخرة سنة عشر وخمسمائة . وأفتى فيها ابن عقيل وابن الزافوني أيضاً . ثم ذكر بعضها مبيناً ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه^(٥) .
- ١٠ - وفاته رحمه الله :**
- توفي أبو الخطاب رحمه الله في بغداد في شهر جمادى الآخرة من سنة ٥١٠ هـ^(٦) عشر وخمسمائة ، عن ثمان وسبعين سنة .
- (١) ذيل الطبقات (١١٦/١) والمنهج الأحمد (٢/٢٣٤) .
- (٢) انظر: المطمع (ص ٤٥٣) وذيل الطبقات (١١٦/١) والمنهج الأحمد (٢/٢٣٤) وللبغدادي إيضاح المكنون (١/٢٤١) وهديّة العارفين (٢/٦) .
- وله صورة بخط نسخ ممتاز في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم (٣٩ ميكروفيلم) عن نسخة من مكتبة «شستر بيتي» بأيرلندا الجنوبية تحت رقم (٣٧٧٨) وقد حقق هذا الكتاب وهو قيد الطبع والنشر الآن اعتماداً على النسخة المذكورة ونسخة أخرى تركية حصل عليها المحقق .
- (٣) انظر مبحث عقيدته (١/٣١ وما بعدها) .
- (٤) انظر مبحث أدبه وشعره (١/٤٤) .
- (٥) ذيل الطبقات (١/١٢٣ - ١٢٦) وتسمى بالفتاوى الرجيات ، وقد ذكرها ابن رجب في القواعد (ص ٣٧) وابن اللحام في القواعد والفوائد الأصولية (ص ٤٤) .
- (٦) وهذا باتفاق المترجمين له إلا ما وقع في معجم البلدان للحموي (٤/٤٧٨) من أنه توفي سنة ٥١٥ هـ . ولعلّه سبق قلم أو خطأ مطبعي .

واختلف في تحديد يوم وفاته على أقوال متقاربة :

الأول : أنه في ليلة الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ، قاله ابن الجوزي في المنتظم^(١).

الثاني : أنه في آخر يوم الأربعاء الثالث والعشرين منه وترك يوم الخميس وصلى عليه يوم الجمعة ، حكاه ابن رجب عن القاضي أبي بكر ابن عبد الباقي وابن شافع^(٢).

الثالث : أنه توفي سحر يوم الخميس ، ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة الثالث والعشرين منه^(٣).

الرابع : أنه في الثالث عشر منه .

الخامس : أنه في الرابع عشر منه . حكى هذين القولين الأخيرين ابن الدمياطي في الذيل المستفاد^(٤) ولعلها تصحفاً عن الثالث والعشرين والرابع والعشرين .

فيرجعان إلى القولين الأولين . واحتمال رجوع الثالث إليهما ليس ببعيد والقولان الأولان أشبه بقول واحد لقرب آخر يوم الأربعاء من ليلة الخميس فيكون ما حكاه ابن رجب هو القول الفصل المفصل في هذا . والله أعلم .

هذا وقد صلي عليه يوم الجمعة في جامع القصر ، وأمّ الناس عليه أبو الحسن بن الفاعوس الزاهد ، في جمع عظيم وجند كثير . وذكر ابن الجوزي أنه حمل بعد ذلك إلى جامع المنصور فصلي عليه أيضاً . ثم دفن إلى جانب أبي محمد التميمي في دكة أحمد بن حنبل ، ورحم الله الجميع^(٥).

(١) المنتظم (١٩٣/٩).

(٢) ذيل الطبقات (١١٨/١) ومثله المنهج الأحمد (٢٣٩/٢).

(٣) قاله ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص ٢٣٥) وتابعه البعلي في المطلع (ص ٤٥٤).

(٤) انظره (ص ٢٢٨).

(٥) انظر: ذيل الطبقات (١١٨/١) والمنتظم (١٩٣/٩).